باب فضل التوحيد
وما يكفر من الذنوب

۞ (بابُ) خبرُ مبتدأ محذوفٍ، تقديرُه: هذا (بابُ) بيانِ (فضلِ التوحيدِ)، و(بيانِ ما يُكَفّر مِن الذنوبِ).

و(ما) يجوزُ أن تكونَ موصولةً، أي: وبيانُ ما يُكفِّرهُ مِن الذنوبِ، ويجوزُ أن تكون مصدريةً، أي: وبيانُ تكفِيرِه الذنوبَ، وهذا أرجحُ؛ لأن الأولَ يُوهِمُ أن ثَمَّ ذُنوباً لا يكفِّرها التوحيدُ، وليس بمرادٍ.

ولَـمّا ذَكَر معنَى التوحيدِ ناسبَ ذِكرَ فَضلِه وتَكفِيرِه للذُّنوبِ؛ ترغيباً فيه، وتحذيراً مِن الضِّدِّ.

وقولُ الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام:٨٢].

قال بعضُ الحنفيةِ في «تفسيرِه»: هذا ابتداءٌ.

قال ابنُ زيدٍ، وابنُ إسحاقٍ: هذا مِن الله على فَصْلِ القضاءِ بين إبراهيمَ وقومِه. =

= قال الزَّجّاجُ: سألَ إبراهيمُ وأجابَ بنفسِه.

وعن ابنِ مسعودٍ، قال: لما نَزلَت هذه الآيةُ، قالوا: فأيُّنا لم يَظلِمْ؟! قال عليه السلام: «﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣]»(١).

وكذا عن أبي بكرٍ الصدِّيقِ أنه فسَّرَه بالشركِ، فيكون الأمنُ مِن تأبيدِ العذابِ.

وعن عُمرَ أنه فسَّره بالذَّنبِ، فيكون الأمنُ مِن كلِّ عذابٍ.

وقال الحسنُ، والكلبيُّ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ﴾ في الآخرة، ﴿وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام:٨٢] في الدنيا، انتهى.

وإنما ذكرتُه؛ لأنَّ فيه شاهداً لكلام شيخِ الإسلامِ الآتي في الحديثِ الذي ذَكَره، [وهو] حديثٌ صحيحٌ في «الصحيح» و«المسند» وغيرِهما.

وفي لفظٍ لأحمدَ(٢)، عن عبد الله، قال: لما نزلت ﴿ٱلَّذِينَ =

(١) أخرجه البخاري: الإيمان (٣٢)، ومسلم: الإيمان (١٢٤).

(٢) «المسند» (١/ ٣٧٨).

= ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾ [الأنعام:٨٢] شَقَّ ذلك على أصحابِ رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسولَ الله، فأيُّنا لا يظلمُ نفسَه؟ قال: «إنَّه ليسَ الذي تَعنُونَ، أَلَمْ تَسمعُوا ما قالَ العبدُ الصالحُ: ﴿ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان:١٣] إنما هو الشِّركُ».

قال شيخُ الإسلامِ: والذي شَقَّ عليهم: ظَنُّوا أن الظلمَ المشروطَ هو ظلمُ العبدِ لنفسِه، وأنه لا أَمنَ ولا اهتداءَ إلا لمن لم يَظلِم نفسَه، فبيَّن لهم النبيُّ ﷺ ما دَلَّهُم على أن الشِّركَ ظلمٌ في كتابِ الله، وحينئذٍ فلا يحصُلُ الأمنُ والاهتداءُ إلا لمن لم يُلبَس إيمانُهم[1] بهذا الظُّلمِ، فمن لم يُلبَس إيمانُه به كان من أهلِ الأمنِ والاهتداءِ، كما كان من أهلِ الاصطفاءِ في قوله: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ ﴾ [فاطر:٣٢]، وهذا لا ينفي أن يُؤَاخذَ أحدُهم بظلمِه لنفسِه بذنبٍ إذا لم يَتُب، كما قال: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ =

(١) قال سماحة الشيخ: أي: يُخلَط، لَبَس يَلبِس من باب ظلم، أما لَبِس يَلبَس كفرح يفرح من لُبس الثوب والعمامة ونحو هذا.

= مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة:٧-٨][1]. [٧٠]

[شرح ٧٠] وقوله ﷻ: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء:١٢٣] إلى غير ذلك.

والحاصل من هذا أن الله جل وعلا حكم بينهما حينما قال: ﴿فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ﴾ [الأنعام:٨١]، فحكم سبحانه وتعالى بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي: أخلصوا ووحَّدوا الرب ﷻ، ثم أكد المقام ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم﴾ لأنهم إذا لَبسوه بالظلم ما كانوا مؤمنين، فأراد الإيضاح، وأنهم لا يكونون مؤمنين حقاً، سالمين من الهلاك، فائزين بالأمن والهداية، إلا إذا سلم إيمانهم، وخلا إيمانهم من الشرك، هؤلاء هم أهل الأمن والاهتداء، ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟﴾ يخلطوا ﴿إِيمَٰنَهُم﴾ توحيدهم ﴿بِظُلْمٍ﴾ بشرك ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ هم لم يشركوا الشرك الأكبر المذكور في قوله =

---

(١) ص٤٣-٤٤.

.....

= جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣].

فمن كان سالماً من الشرك الأكبر، ومات على ذلك، فله الأمن وله الهداية، لكن هذا الأمن والهداية لا من كل شيء، بل من الخلود في النار، كحال الكفار.

لكن الأمن لا يكون كاملاً، وكذلك الهداية لا تكون كاملة إلا بسلامتهم من الظلم الآخر، ظلمه لنفسه بالمعاصي، وظلمه للعباد بأنواع الظلم، من نفس أو مال أو عرض.

هذا هو المعروف من النصوص الأخرى، الدالّة على أن من مات وقد تلطخ بظلم العبادِ أو بظلم النفسِ فهو على خطر من عذاب الله، كما قال ﷻ: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨]، فعلَّق الغفران لمن سلم من الشرك بالمشيئة، فدل ذلك على أن من مات على ما دون الشرك الأكبر فهو تحت مشيئة الله، قد يعفى عنه لأعمال صالحات، وتقوى وغير ذلك.

وقد يؤخذ بما مات عليه من ظلم لنفسه أو ظلم للعباد، ويُعذَّب على قدر ذلك، بسبب موته على غير توبة. =

.....

= والظلم أنواع ثلاثة: ظلم الشرك، وظلم المعاصي، وظلم التعدي على العباد، أنفسهم وأموالهم وأعراضهم.

فإن سلم من أنواع الظلم الثلاثة، صار له الأمن كاملاً، والهداية كاملة، في الدنيا والآخرة، ومن سلم من الظلم الأول وهو الأكبر، أي: الشرك، لكنه مات على شيء من ظلمه العباد، أو ظلمه لنفسه بالمعاصي، فذلك تحت مشيئة الله ﷻ، لكن معه مطلق الأمن، وله مطلق الهداية؛ لأن الله كفاه شر الشرك، فيكون عنده أمن، وعنده هداية، لكنهما غير كاملين إذا لم يسلم من ظلم العباد، وظلم النفس بالمعاصي.

obeikandl.com

۞ وقد سألَ أبو بكرٍ ﷺ النبيَّ ﷺ عن ذلك، فقال: يا رسولَ الله، وأيُّنا لم يعمل سُوءاً؟ فقال: «يا أبا بكرٍ، ألستَ تَنصَبُ؟ ألستَ تَحزَنُ؟ أليس تُصِيبُكَ اللَّأْوَاءُ؟ فذلك ما تُجزَونَ به»[1].[2] [٧١]

[شرح٧١] المقصود البلاء الذي يصيب المسلم، وهذا الحديث معروف، والذي يظهر أنه لا بأس به، فهو على قوله تعالى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء:١٢٣]؛ يعني أن الجزاء قد يعجل في الدنيا، فيفضي المؤمن للآخرة وقد سلم، وقد تكون مصائبه في الدنيا من هَمّ وغمّ وحُزن ونصب ومرض ونحو ذلك، قد يكفَّر بها خطاياه، فيفضي للآخرة وهو سليم، ويدل على هذا حديث: «ما يُصِيبُ المسلِمَ مِن نَصَبٍ ولا وَصَبٍ ولا هَمٍّ ولا حُزنٍ ولا أذًى ولا غَمٍّ، حتى الشوكَةِ يُشاكُها إلا كَفَّرَ اللهُ بها مِن خطاياهُ»[3].

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ١١).

(٢) ص٤٤.

(٣) أخرجه البخاري: المرضى (٥٦٤٢)، ومسلم: البر والصلة والآداب (٢٥٧٣).

۞ فبيَّن أن المؤمنَ الذي إذا تاب[1] دخل الجنةَ، قد يُجزَى بسيئاته في الدنيا بالمصائبِ التي تُصيبُه.

قال: فمَن سَلِمَ من أجناسِ الظُّلمِ الثلاثةِ ـ يعني: الظلمَ الذي هو الشركُ، وظلمَ العبادِ، وظلمَه لنفسِه، بما دون الشرك ـ كان له الأمنُ التامُّ، والاهتداءُ التامُّ.

ومن لم يَسلَم مِن ظُلمِ نفسِه، كان له الأمنُ والاهتداءُ مطلقاً، بمعنى أنه لا بدَّ أن يدخلَ الجنةَ، كما وعدَ بذلكَ في الآيةِ الأُخرى، وقد هداه اللهُ إلى الصراطِ المستقيمِ، الذي تكون عاقبتُه فيه إلى الجنة، ويحصُلُ له من نقصِ الأمنِ والاهتداءِ بحسبِ ما نقصَ من إيمانِه بظلمِه لنفسِه[2]. [٧٢]

[شرح٧٢] يقول تعالى في الآية الأخرى التي وعد بها من ظلم نفسه بالجنة: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ =

(١) في الأصل المطبوع: مات، وما أثبت هو ما ورد في «مجموع الفتاوى» لشيخ الإسلام (٧/ ٨٠).

(٢) ص٤٤.

.....

= ﴿هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾ [فاطر:٣٢-٣٣] في هذه الآية وعدهم الله الجنةَ بعد أن عدد أنواع الظلم، فأحدهم ظالم لنفسه بالمعاصي، ثم المقتصد الذي أدى الواجبات وترك المحارم، ثم السابق بالخيرات.

فهم أقسام ثلاثة، والله وعد الجميع الجنة، فقدم ذلك على المغفرة ووعدهم الجنة، منهم ظالم لنفسه، وهنا جعل له الأمن والهداية، وهذا بشرط السلامة من الظُّلمَين الآخرين: ظلم العباد، وظلم النفس.

obeikandl.com

۞ ليس مرادُ النبيِّ ﷺ بقوله: «إنَّما هو الشِّركُ»: أن مَن لم يُشرِك الشِّركَ الأكبرَ يكون له الأمنُ التامُّ، والاهتداءُ التامُّ، فإن أحاديثَه الكثيرةَ مع نصوصِ القرآنِ، تبيِّنُ أن أهلَ الكبائرِ مُعَرَّضون للخوف، لم يحصُل لهم الأمنُ التامُّ، والاهتداءُ التامُّ الذي يكونون به مهتدينَ إلى الصراطِ المستقيمِ، صراطِ الذين أنعمَ اللهُ عليهم، من غير عذابٍ يحصُل لهم، بل معهم أصلُ الاهتداءِ إلى الصراطِ المستقيمِ، ومعهم أصلُ نعمةِ الله عليهم، ولا بُدَّ لهم من دخولِ الجنةِ.

وقوله: (إنَّما هو الشِّركُ) إنْ أرادَ به الأكبرَ، فمقصودُه أن من لم يكن مِن أهلِه، فهو آمِنٌ مما وُعِدَ به المشركون، من عذابِ الدنيا والآخرةِ، وهو مهتدٍ إلى ذلك، وإنْ كان مرادُه جنسَ الشِّركِ، فيقال: ظلمُ العبدِ نفسَه كبخلِه ـ لحبِّ المالِ ـ ببعضِ الواجبِ هو شِركٌ أصغرُ، وحبُّه ما يبغضُ اللهُ[1]، حتى يقدِّم هواهُ على محبَّة الله، شركٌ أصغرُ، =

(١) قال سماحة الشيخ: أي: ما يبغضه الله، فالمفعول محذوف.

= ونحو ذلك[1]. [٧٣]

[شرح٧٣] يعني: أن الإنسان إذا وقع في المعاصي، فقد وقع في إيمانه شوب من الشرك؛ لكونه آثر هواه، وآثر محبة نفسه، فأشبه الشرك الخفي الذي جاء في الأحاديث، كالرياء، وحب السمعة ونحو ذلك، فيكون بهذا ناقص الإيمان، ناقص التوحيد، فيكون غير حاصل على الأمن التام والهداية التامة، وفي كل حال فالنصوص واضحة في هذا، فإن الشرك شرك أكبر، وهذا هو ظاهر النص، وهو المراد من سياق الأحاديث، المراد الشرك الأكبر، المذكور في قول لقمان: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣].

ويحتمل أنه ﷺ أراد جنس الشرك، لأن جنس الشرك مع قطع النظر عن كونه كبيرة أو صغيرة، فيكون إتيان الكبائر نوعاً من الشرك، بمعنى أنه أطاع واتبع الهوى فيها، كالزنى والسرقة والكبر ونحو ذلك، حتى آثر هوى نفسه على طاعة الله جلا وعلا، فكان هذا نوعاً من الشرك، الذي يضعف به إيمانه ويقينه وتوحيده، فيستحق عليه العقاب يوم القيامة، وبهذا لا يسلم من =

---

(١) ص٤٤.

.....

= العقاب، ولا يحصل له الأمن كاملاً والهداية كاملة إلا بسلامته من أنواع الظلم الثلاث*.

* س: لو أذن لفريضة من الفرائض، كالظهر أو العصر وعندي ناس، أو عندي تمثيلية نناظر فيها أو نأكل قاتاً، حتى ذهب وقت هذه الفريضة، وجاء وقت الفريضة الثانية، ولم أصلِّها إلا مع الفريضة الثانية، أليس هذا يدخل في الكفر؟

ج: هذا من ظلم النفس بالمعاصي، فإذا اتبع هواه وأطاعه حتى ضيع الفريضة في أكل القات، أو مراعاة خاطر الذي يجلس عنده، أو التمثيل الذي قلته، أو غير ذلك، يكن عاصياً، مستحقاً للعقوبة.

وآكل القات جمع بين ذنبين: ذنب أكل القات، وهو محرم، وذنب تأخير الصلاة، أما الطعام فقال النبي ﷺ: «لا صلاةَ بحضرَةِ الطعامِ»(١)، فإذا أذن وهو على الطعام يكمل طعامه، ولا يقوم إلى الصلاة وهو يأكل.

لكن بعض العلماء ألحق الكبائر في معنى الشرك الأصغر، وهي لا تسمى بالشرك الأصغر، لكنها في معناها من جهة أن صاحب الكبيرة أطاع هواه، وآثره، فهي نوع من الشرك الأصغر الخفي، لكن لا تلحق بالشرك، =

(١) أخرجه مسلم: المساجد ومواضع الصلاة (٥٦٠).

.....

= بل هي تحت مشيئة الله جل وعلا، فهذه كلها في حكم المعاصي.

س: لكن هو يفعل هذا مثلاً وقت الفريضة؟

لا يجوز هذا العمل، لكن لا يسمى شركاً أكبر، فالمعاصي شيء والشرك الأكبر شيء، أما كونه تأخر عن الصلاة، بسبب القات، أو التدخين، أو السواليف مع أصحابه، فهذه معصية، فيأدب عليها، ويجب عليه التوبة إلى الله من ذلك، فالشرك شيء والمعاصي شيء آخر.

س: ما معنى قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية:٢٣]؟

ج: في هذا نوع من عبادة الهوى، لكنه ليس مثل الذي عبد الصنم والوثن، فكل من عصى ربه فقد أطاع هواه، فعلى هذا لو جعلناه شركاً أكبر لصار من دخن أو شرب الخمر أو زنى أو عق والديه داخلاً فيه، لا، عند أهل السنة والجماعة بالإجماع بخلاف الخوارج أن الشرك الأكبر شيء والمعاصي شيء آخر.

وإن كانت المعاصي نوعاً من اتباع الهوى، ونوعاً من عبادة الهوى، لكن ليس من الشرك الأكبر، وليس من الشرك الذي صاحبه لا يغفر له، بل هذا نوع من الشرك الخفي الذي يسمى شركاً أصغر، ويسمى شركاً خفياً، لكن لا يكون له حكم الشرك الأكبر، بل له حكم المعاصي.

س: سؤال غير مسموع. =

.....

= ج: يعني: أن الإنسان مآخذ بما يفعل من الشر، ولو كان قليلاً، وقد يغفر له إذا اجتنب الكبائر، فتوعد الله جل وعلا من فعل كبيرة، لكنه قد يؤاخذ بها وقد لا يؤاخذ بها؛ لأن الله قال: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء:٣١] فالمؤمن إن تجنب الكبائر عفا الله له عن الصغائر، وإن رآها في كتاب سيئاته، وإن عرضت عليه، لكن لا يلزم من رؤيته لها أن يؤخذ بها.

فإذا اجتنب الكبائر كفاه الله ﷻ شر الصغائر، لكن يجب على المؤمن أن يحذر كل شيء، أن يحذر السيئات مطلقاً، أي: كل ما نهاه الله عنه، فالسيئات الصغائر تجتمع عليه فتهلكه، فينبغي أن يجتنب كل ما نهى الله سبحانه وتعالى عنه.

ثم الصغائر والكبائر يلتمس هذا من هذا، وهو خلاف كبير بين أهل العلم، فقد يشتبه عليه، وقد يظن ما ليس بصغيرة صغيرة فيستهان بها، فالحزم كل الحزم أن يجتنب كل ما نهى الله عنه ويحذره، حتى يسلم.

س: بمناسبة ذكر الخوارج: ما هو القول الفصل في الخوارج؟ هل يكفرون مطلقاً، أم لا يكفرون مطلقاً، أم تحتاج المسألة إلى تفصيل؟

ج: عند أهل السنة والجماعة الخوارج لا يكفرون، كما قال علي: من الكفر فروا، وقال بعض السلف: هم كفار للحديث الصحيح «يمرقون من =

.....

= الدين كما يمرق السهمُ من الرَّمِيَّة ثم لا يعودون فيه»[(١)]. فظاهر الأدلة كفرهم، لكن أهل السنة والجماعة حملوا هذا على الوعيد والزجر الشديد على عملهم، ولذلك لما سُئل عليٌّ عنهم، وهو مَن جاهدهم وعرف أحوالهم، قال: من الكفر فرُّوا[(٢)]، حملهم التشدد في طاعة الله، والخوف من الله عز وجل حتى كفروا الناس بالمعاصي، وكفروا الصحابة، فكفروا علياً ومن معه، بسبب اجتهادهم الباطل الفاسد فالرجل توعدهم على هذا، وتوعدهم بقتلهم قتل عاد بكفرهم، على قول، ولضلالهم وخروجهم عن الصراط المستقيم الذي يجب اتباعه، على القول الثاني.

فالحاصل أنهم كفروا الناس، وقاتلوهم على غير بصيرة، حتى قاتلوا أهل الإسلام وتركوا عباد الأوثان من جهلهم.

فالصواب فيهم: أن ظاهر الأدلة تكفيرهم، لكن جمهور أهل السنة، قالوا في حقهم: إنهم أهل كبائر وأهل نحلة فاسدة وأهل بدعة، لكن في كفرهم نظر، لأن علياً وهو أعلم الناس بهم لم يكفرهم، فقال: من الكفر فروا.

أما ظاهر الأحاديث فهي تؤيد المذهب الأقل بتكفيرهم؛ لأنه قال فيهم: «يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية»[(٣)]، وفي رواية: =

(١) أخرجه البخاري: التوحيد (٧٥٦٢).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (١٨٦٥٦).

(٣) أخرجه البخاري: المناقب (٣٦١١)، ومسلم: الزكاة (١٠٦٦).

.....

= «يمرقون من الدين كما يمرق السهمُ من الرَّمِيَّة ثم لا يعودون فيه»[1]، وظاهر هذا كفرهم؛ لأنهم استحلُّوا ما حرَّم الله، فاستحلوا دماء المسلمين وأموالهم، وقتلوهم، كما هو معروف في عهد الصحابة، ومن بعدهم، نسأل الله السلامة.

س: وطوائف المعتزلة؟

ج: المعتزلة هم أقلُّ منهم؛ لأن المعتزلة لا يكفرون، ولكنهم يقولون بالمنزلة بين المنزلتين، فهم أقل منهم، وظاهر الأدلة تقتضي تكفيرهم أيضاً؛ لأنهم نفوا صفات الله، وعطلوا الله من صفاته، وزعموا أن أهل المعاصي مخلدون في النار، فالقول بتكفيرهم قول قوي، لكنهم ليسوا كالخوارج من كل وجه، فالخوارج كفروا الناس صراحة، من زنى عندهم كفر، ومن شرب الخمر كفر، ومن قتل إنساناً بغير حق كفر، فمذهبهم صريح في الشر، والعياذ بالله.

س: لكنهم وافقوهم في أحكام الآخرة؟

ج: لكن في الدنيا خالفوهم، هؤلاء كفروا أهل المعاصي وجاهدوهم وقاتلوهم، كما فعلوا مع علي ﷺ، أما المعتزلة فما يرون رأيهم لا في المقاتلة فيما يظهر ولا في التكفير، ولكن يرون أنهم في الآخرة مخلَّدون في النار، وهي موافقة في الحقيقة موافقة قوية، ويقال في حقهم: إن الخلاف لفظي. =

(١) أخرجه البخاري: التوحيد (٧٥٦٢).

.....

= س: والجهمية؟

ج: والجهمية غيرهم، ينفون الأسماء والصفات جميعاً، والمعتزلة ينفون الصفات فقط، دون الأسماء فيثبتونها، والجهمية مرجئة وقدرية مع ذلك، والمعتزلة نفاة للقدر، فبينهم فروق، لكنهم يجتمعون في البدعة، أما التكفير فبحث آخر.

س: والشيعة؟

ج: الشيعة على طريقة المعتزلة، في نفي الصفات مع ما عندهم من تكفير وسب للصحابة، والعقائد الخبيثة في أهل البيت.

س: لكن هل يجوز للسني أن يصلي خلفه؟

ج: لا تجوز الصلاة خلفه، فإذا عرف أنه شيعي يعبد أهل البيت، ويدعوهم من دون الله، أو يسب الصحابة، فهذا لا قيمة له، ولا يكون إماماً للناس، ويجب أن يبعد عن الإمامة، أما إذا عرف منه أنه لا يشرك، ولكن عنده قضية تفضيل علي على عثمان ونحو ذلك، أو عرف بالتوحيد، وأنه لا يؤله أهل البيت، ولا يسب الصحابة ولا يخوّنهم، فهذا له حكم أهل التوحيد في صحة إمامته.

فالشيعة أقسام، ذكر بعضهم أنهم اثنان وعشرون قسماً.

س: الذي يذبح عند قبر أو ينذر له هل يصلى خلفه؟

ج: عباد القبور لا يصلى خلفهم، كالذي يتقرب إلى صاحب القبر =

.....

= بالنذر أو الذبيحة أو بالدعاء، فإذا كان يذبح عند صاحب القبر تقرباً إليه كما يفعل عند ابن عَلْوان وغيره، فهذا الشرك الأكبر، فالذي يذبح عند القبور يمنع لا يؤم الناس، أما التكفير فهذا محل النظر.

س: ما حكم التأخر عن صلاة الجماعة؟

ج: التأخر عن صلاة الجماعة مشابه للنفاق، كما قال ابن مسعود: ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق[1]، ولو كان جالساً يقرأ، أما إذا كان عند التلفزيون، فذلك أشر وأخبث، أو الألعاب الأخرى، فالمعاصي أنواع، والتخلف عن الجماعة مطلقاً بدون عذر شرعي تشبه بأهل النفاق، حتى ولو كان جالساً يسبح ويهلل، وإن تخلف لأجل سماع الأغاني أو مشاهدة التلفاز، صار الأمر أعظم، فقد تخلف عن الواجب، وفعل معصية، نعوذ بالله.

(١) أخرجه مسلم: المساجد ومواضع الصلاة (٦٥٤).

۞ فهذا فاتَه مِن الأمنِ والاهتداءِ بحسَبِه، ولهذا كان السلفُ يُدخِلون الذنوبَ في هذا الظلمِ، بهذا الاعتبارِ، انتهى ملخصاً [١].

وبه تظهرُ مطابقةُ الآيةِ للترجمةِ، فدلَّت على فضلِ التوحيدِ، وتكفيرِه للذنوبِ؛ لأن مَن أتى به تامّاً، فله الأمنُ التامُّ، والاهتداءُ التامُّ، ودخلَ الجنَّةَ بلا عذابٍ[٢]. [٧٤]

[شرح٧٤] ولا يكون التوحيد تامّاً إلا بكون صاحبه تاركاً للمعاصي كلها، فالتوحيد الخالص في ضمنه التوبة من المعاصي والسيئات، فيحصل له الأمن التام، والهداية الكاملة، أما إذا كان قد تلطخ بالمعاصي، يكون توحيده ناقصاً، فيكون أمنه ناقصاً، فالكل بالكل، والبعض بالبعض.

---

(١) انظر «مجموع الفتاوى» لشيخ الإسلام ابن تيمية (٧/ ٨٠-٨٢).

(٢) ص٤٤.

۞ ومَن أتَى به ناقصاً بالذنوبِ التي لم يَتُب منها، فإن كانت صغائرَ كُفِّرت باجتنابِ الكبائرِ؛ لآيةِ النساءِ[1]، والنَّجمِ[2]، وإن كانت كبائرَ فهو في حُكْمِ المشيئةِ، إن شاء اللهُ غفرَ له، وإن شاء عَذَّبه، ومآلُه إلى الجنةِ، والله أعلم[3]. [٧٥]

[شرح٧٥] ذكر العلماء أن الشرك الأكبر هو ما يتضمن صرف بعض العبادة لغير الله، أو جحد ما أوجبه الله، لأنه هو معلوم من الدين بالضرورة بالأدلة الشرعية، أو جحد ما حرمه الله؛ لأنه هو معلوم من الدين بالضرورة، كالزنى ونحوه، فهذا سماه كفراً أكبر، وشركاً أكبر.

أما الشرك الأصغر فهو ما ورد في النصوص تسميته شركاً، لكنه لم يصل إلى درجة عبادة غير الله، ولا إلى جحد ما أوجبه الله، ولا إلى جحد ما حرم الله، لكنه دون ذلك، مثل: الحلف بغير الله، يقول: ما شاء الله وشاء فلان، لولا الله وفلان، و الرياء، كل هذا =

---

(١) وهي قوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء:٣١].

(٢) وهي قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [النجم:٣٢].

(٣) ص٤٤.

.....

= من الشرك الأصغر الذي قال فيه النبي ﷺ: «إن أخوفَ ما أخافُ عليكم الشِّركُ الأصغرُ» قالوا: وما الشركُ الأصغرُ، يا رسولَ الله؟ قال: «الرياءُ»[1]، وقال في الحديث الصحيح: «مَن حَلَف بغيرِ الله فقد أَشرَكَ»[2].

فالحاصل أن الشرك الأصغر هو ما ورد بالنصوص تسميته شركاً، لكنه لم يصل إلى حد الشرك الأكبر الذي تقدم بيانه، وهو صرف العبادة لغير الله، أو بعضها، أو جحد ما أوجب الله؛ لأنه معلوم من الدين بالضرورة، أو جحد ما حرم الله، كالزنى ونحوه، أو اعتقاد ينافي ما جاءت به الرسل، كأن يعتقد خلاف ما جاءت به الرسل، كإنكار وجود الله، وإنكار الآخرة، وإنكار الجنة، وإنكار النار، إلى غير ذلك، بأن يخالف ما جاءت به الرسل، فهذا جحد لما أخبر الله.

فكل ما يتضمن تكذيب الله، أو تكذيب الرسول ـ عليه =

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٤٢٨).

(٢) أخرجه الترمذي: النذور والأيمان (١٥٣٥)، وأبو داود: الأيمان والنذور (٣٢٥١).

.....

= الصلاة والسلام ـ بإنكار واجب أو إنكار محرم أو إنكار خبر، أو يتضمن صرف العبادة أو بعضها لغير الله، فهذا كله من الكفر الأكبر والشرك الأكبر.

وما دون ذلك مما جاء في النصوص وسمته شركاً كالرياء والسمعة وقول: «ما شاء الله وشاء فلان»، والحَلِف بغير الله، كالحلف بالأمانة، والنبي ﷺ ونحو ذلك، هو من الشرك الأصغر، وقد يكون أكبر في بعض الأحيان، على حسب ما يكون في قلب صاحبه من تعظيم المخلوق والاعتقاد به عند الحلف به ونحو ذلك*.

---

* س: ما الفرق بينهما؟

ج: الشرك الأكبر يوجب الخلود في النار، وحرمان المغفرة، ولا يصلى على صاحبه، ولا يستغفر له، أما صاحب الشرك الأصغر فلا ينافي الإيمان بالكلية، ولا يوجب الخلود في النار، ولا يمنع الصلاة على صاحبه، ولا الاستغفار له، فالفرق بينهما عظيم.

اختلف العلماء: هل يغفر الشرك الأصغر كما تغفر الكبائر تحت قوله: ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [آل عمران: ١٢٩] أم لا يغفر بل هو من جنس الشرك =

.....

= الأكبر في عدم المغفرة، لكنه قد يمحى بالحسنات وبالعذاب في النار.

فالحاصل أن الشرك الأصغر قد لا يغفر مع جهة عموم الأدلة في عدم مغفرة الشرك مطلقاً، وقد يغفر باجتناب الكبائر، لكن مثل هذا لا يخلد صاحبه في النار، سواء أقلنا: يغفر، أم قلنا: لا يغفر، فقد يغفر وقد لا يغفر، لكن صاحبه يعذب على قدره، ثم بعد التطهير يخرج من النار، وقد يزول حكمه برجوح الحسنات في الميزان.

س: والروافض؟

ج: الروافض أشدهم وأخبثهم، الذين رفضوا زيد بن علي، لما طلبوا منه أن يتبرأ من الصديق وعمر، وأبى، فرفضوه، وهم أقسام أيضاً، منهم الباطنية، وغير الباطنية، الباطنية: الذين ينكرون وجود الله ولا يعبدونه، ومنهم الباطنية الذين يقولون: الإله علي، وفيهم أنواع أخرى، وفيهم المخونة الذين يقولون: إن الرسالة لعلي، ولكن جبرائيل خانه فجعلها لمحمد، فهم أقسام ـ قبحهم الله ـ ومع ذلك انتهى أمرهم إلى أنهم يعبدون أهل البيت، ويدينون بدين المعتزلة في نفي الصفات، وفي المنزلة بين المنزلتين، وفي تخليد أهل المعاصي في النار.

س: ما معنى المنزلة بين المنزلتين؟

ج: لا يقال: كافر ولا مسلم ولكن فاسق، فالعاصي لا يسمى مسلماً ولا كافراً ولكنه عاص. =

.....

= **س: هل يجوز دخول الذين هم بهذه الصفة (يعني الروافض) الحرمين الشريفين؟**

ج: من عرف أنه بهذه الصفة لا يجوز دخوله، لكن بسبب الشبه ودعواهم الإسلام حصل ما حصل ولأنهم يشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله في الظاهر ويدعون الإسلام، ولهذا اضطرت الدولة إلى دخولهم.

س: بعضهم يعرِّف الشرك الأكبر تسمية غير الله بما يختص به الله.

ج: نوع من التعريف، لكنه قاصر؛ لأنه يلحق به جحد ما أوجب الله، وجحد ما حرم الله والشك في دين الله وكل هذا يسمى الكفر الأكبر والشرك الأكبر.

obeikandl.com

۞ عن عُبادةَ بنِ الصامتِ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَن شهِدَ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، وأنَّ عيسى عبدُ الله ورسولُه وكلمتُه ألقاها إلى مريمَ ورُوحٌ منه، والجنةُ حقٌّ، والنارُ حقٌّ، أدخلَه اللهُ الجنةَ على ما كانَ من العملِ» أخرجاه[1].

عُبادة: هو ابنُ الصامتِ بن قيسٍ الأنصاريُّ الخزرجيُّ أبو الوليد، أحد النُّقَباء، بَدريٌّ مشهور من جِلَّة الصحابة، مات بالرَّملَة سنة أربع وثلاثين، وله اثنتان وسبعون سنةً، وقيل: عاش إلى خلافة معاوية.

قوله: (مَن شهدَ أن لا إلهَ إلا اللهُ) أي: من تكلَّم بهذه الكلمةِ عارفاً لمعناها، عاملاً بمقتَضاها باطناً وظاهراً؛ كما دلَّ عليه قولُه: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد:١٩] وقولُه: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [الزخرف:٨٦] أما النُّطقُ بها مِن غيرِ معرفةٍ لمعناها ولا عمل بمقتضاها، فإن ذلك غيرُ =

(١) أخرجه البخاري: أحاديث الأنبياء (٣٤٣٥)، ومسلم: الإيمان (٢٨).

= نافعٍ بالإجماع[1]. [٧٦]

[شرح٧٦] ولهذا ينطق بها المنافقون فلا تنفعهم، وينطق بها المرتدون فلا تنفعهم؛ لأنهم لم يقولوها عن علم ويقين، بل عن كذب، فالمنافقون قالوها كذباً ولهذا لم تنفعهم، وصاروا في الدرك الأسفل من النار، فهم يقولونها ويشهدون أن محمداً رسول الله، وهم في الباطن كاذبون كما قال ﷻ: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون:١].

هذه طريقتهم، يجاملون المسلمين ويقولون: لا إله إلا الله محمد رسول الله، إلى غير هذا، والبواطن كلها خراب، كلها تكذيب، كلها إنكار للحق.

وهكذا المرتدون من ارتد بأنواع من الردة، ومع ذلك يقول: لا إله إلا الله، ويسب الله، ويسب دينه، ويستهزئ بدينه، ويقول: لا إله إلا الله، فلا تنفعه هذه الكلمة، لأنه لم يؤد حقها، لأن من حقها: أن تعبد الله وحده، وأن تعظم حرماته، وأن تلتزم بحقه، =

---

(١) ص٤٥.

.....

= وأن تكفر بما يعبد من دونه، فإذا قلتها وأنت غير ملتزم بحقها فوجودها كعدمها.

ولهذا لما ارتد من ارتد من العرب، وعزم الصِّدِّيق على قتالهم حتى يرجعوا إلى دين الله، ناظره عمر في هذا وقال: كيف تقاتلهم وقد قال النبي ﷺ: «أُمرتُ أن أقاتلَ الناسَ حتى يقولوا: لا إلهَ إلا اللهُ، فإذا قالوها عَصَمُوا مني دماءَهم وأموالَهم إلا بحقِّها»؟ قال الصديق: أليس الزكاة من حقها؟ والله لأقاتلن مَن فَرَّق بين الصلاةِ والزكاةِ، والله لو مَنعوني عَناقاً ـ وفي رواية: عِقالاً ـ كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتُهم على منعها! فقال عمر: فما هو إلا أن عرفتُ أن الله قد شرح صدرَ أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحقُّ[1].

فالمقصود أن هذه الكلمة لها حقوق فلا بد من أداء الحقوق، بعض الحقوق تجعل صاحبها كأنه لم يقلها وباقٍ في كفره وضلاله، =

(١) أخرجه البخاري: الزكاة (١٣٩٩) و(١٤٠٠)، والاعتصام بالكتاب والسنة (٧٢٨٤)، ومسلم: الإيمان (٢٠).

.....

= وبعض الحقوق ينقص معناها، ويضعف معناها، لكن لا يكون صاحبها كافراً، فمن قالها وسب الله ورسوله، أو صدَّق مُسيلِمة، أو صدَّق مدعي النبوة كالقادياني وأشباهه، كفر بذلك، ولم ينفعه قول: لا إله إلا الله، ولا صلاته وصومه ولا حجه وزكاته ولا غير ذلك؛ لأنه جاء بناقض من نواقض الإسلام.

كذلك لو قال: لا إله إلا الله، وصلى وصام ولكن يقول: الزنى حلال، أو الخمر حلال، أو الربا حلال، أو عقوق الوالدين حلال، أو الصلاة غير واجبة، أصلي ولكن ليست واجبة علي الصلاة أو ما أشبه ذلك، هذا مرتد كافر بالإجماع ولو قالها.

أما الحال الثانية: فقد يقولها، ولكن لا يلتزم بحقوقها المكملة، كأن يقول: لا إله إلا الله، ولكن يزني، ويعرف أن الزنى حرام ومنكر، ولكنه يتعاطاه، فهذا ما أدى حقها كاملاً، بل أدى حقها بنقص، فيكون ضعيف الإيمان، ويكون مستحق العقوبة، ويكون على خطر من دخول النار يوم القيامة إذا مات على ذلك.

كذلك لو قالها، ولكن يشرب الخمر، يشرب المسكرات، يعق =

.....

= الوالدين، يأكل الربا، ولكن لا يستحل ذلك، بل يفعل ذلك وهو يعلم أنه حرام، ولكن غلبه الهوى، وغلبه شيطانه، هذا يكون قد نقص حقها، وضعف في أداء حقها، ولكن لا يكون كالذي تركها بالكلية، فيكون مسلماً مؤمناً، ضعيف الإيمان، ناقص الإيمان، ولكن ليس كالذي أنكرها بالكلية، بل له حظه من الإسلام، وهو على وعد من دخول الجنة، وله العاقبة الحميدة بعد كل نهاية، ولكنه على خطر من دخول النار إذا مات على حالته السيئة هذه، فيكون ناقص الإيمان، ضعيف الإيمان، لا كامل الإيمان، ولا معدوم الإيمان، فينبغي التنبه للفرق في هذه المسائل المهمة العظيمة.

obeikandl.com

۞ وفي الحديثِ ما يدلُّ على هذا، وهو قولُه: (مَن شَهِد) إذ كيف يشهدُ وهو لا يعلَم، ومجرَّدُ النُّطقِ بشيء لا يسمَّى شهادةً به. قال بعضُهم: أداةُ الحَصْرِ لقَصْرِ الصفةِ على الموصوفِ قَصرَ إفرادٍ؛ لأن معناه: الأُلوهيةُ منحصرةٌ في الله الواحدِ في مقابلةِ من يزعُم اشتراكَ غيره معه، وليس قَصرَ قلبٍ؛ لأن أحداً من الكفارِ لم يَنفِها عن الله، وإنما أشركَ معه غيرَه[1]. [٧٧]

[شرح٧٧] المعنى في هذا، يعني: ليس المراد نفي الوجود وقصر قلب، فإن جميع الناس يعرفون أن الله ﷻ إله، ولكن الكلام كلّه في هل هناك آلهة معه أم لا؟ هل هناك آلهة تعبد وتستحق العبادة أم لا؟ وإلا فهم يعرفون أن الله إله، وهناك آلهة عندهم معبودة كاللات والعزى وأشباه ذلك.

فليس المعنى لا شمس إلا الشمس يعني: لا شمس موجودة إلا هذه الشمس، ولا قمر إلا هذا القمر، كلا، فالمعنى: لا إله حق، فهناك آلهة موجودة، أما ترى أنك تقول: لا رجل إلا علي، أو لا =

---

(١) ص٤٥.

.....

= شجاع إلا علي، ليس المراد أنه ليس هناك شجعان، لكن نفي الكمال من الشجاعة والإقدام إلا لعلي على تقدير صحة هذا الإطلاق.

فالمقصود بيان أن هناك آلهة موجودة لكنها لا تستحق العبادة، بخلاف لا شمس إلا الشمس، معناها أن الشمس ليست موجودة أبداً في الليل، وقد ظن بعض المتكلمين وبعض الجاهلين أن هذا هو المعنى، لا إله إلا الله؛ يعني: لا إله موجود، وهذا غلط كبير، فهناك آلهة موجودة عند المشركين كثيرة إلى الآن، بل أكثر وأكثر، لكنها معبودة بالباطل، ليست معبودة بالحق، أما المعبود بالحق فهو الله وحده ﷻ ولهذا قال ﷻ: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة:١٦٣].

وقال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ [الحج:٦٢] ، هذا بيان أن الآلهة موجودة مدعوة، ومن هذا قولُه جل وعلا: ﴿فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ [هود:١٠١]، فجعل لهم آلهة.

ومن هذا قوله: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا﴾ [ص:٥] ، ومن هذا =

.....

= قولُه بما ذكر الله عنهم: ﴿أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ [الصافات:٣٦].

فهناك آلهة ولكنها معبودة بالباطل لا قيمة لها، فالمعبود بالحق هو الله وحده ﷻ، فالمعنى قصر الإفراد، قصر الإلهية، فالموصوف بأنه حق في هذا الاستثناء هو الله، لا قصر الوجود، فكل إله موجود، ولكنه ليس معبوداً بالحق: ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الحج:٦٢]، فالمعبود بالحق هو الله وحده، سبحانه وتعالى.

obeikandl.com

۞ وقال النوويُّ: هذا حديثٌ عظيمٌ جليلُ الموقعِ، وهو أجمعُ ـ أو من أجمع ـ الأحاديثِ المشتَمِلةِ على العقائدِ[1]. [٧٨]

[شرح٧٨] أجمع منه حديث جبرائيل المشهور: في السؤال عن الإسلام، والإيمان، والإحسان، وأشراط الساعة[2]، لكن في حديث عبادة أشياء لم تذكر في حديث جبرائيل، وبضمه إلى حديث جبرائيل، يحصل بيان العقيدة الصحيحة التي تنافي جميع ملل الكفر وجميع ملل الضلالة*.

*** س: هل الأحسن التعبير بالعقائد أو العقيدة؟**

ج: بالنسبة إلى عقائد أهل الدنيا عقائد، وبالنسبة إلى العقيدة الصحيحة واحدة، لأن كل عقائد أهل الدنيا باطلة لأنها كثيرة؛ عقيدة اليهود، وعقيدة النصارى، وعقيدة البوذيين، وعقيدة الوثنيين، وعقيدة الملاحدة.

العقيدة هي الإيمان بالله، وأن محمداً خاتم النبيين، والإيمان بالآخرة والجنة والنار، والعقيدة في عيسى، إلى غير ذلك، كل هذه الأنواع ترجع إلى =

---

(١) ص٤٥.

(٢) أخرجه مسلم: الإيمان (٨) و(١٠).

.....

= عقيدة واحدة مثل قوله سبحانه: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [المائدة].

السبيل واحد ولكنه جمع سبل السلام من جهة أنواع السبل وكثرتها، وكلها سبل خير تمضي إلى صراط مستقيم واحد، فالصلاة سبيل الخير، والزكاة سبيل الخير، والصيام سبيل الخير، والحج سبيل الخير، وبر الوالدين سبيل الخير إلى غير ذلك، فهي سبل لكنها ترجع إلى سبيل واحد، وتنحصر في سبيل واحد، وهو ما دل عليه كتاب الله وسنة الرسول ﷺ، هذا هو معنى لا إله إلا الله محمد رسول الله، هذا هو الصراط المستقيم.

وفي غالب الآيات والأحاديث السبيل، بإفراد السبيل وإفراد الصراط: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة:٦]، ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام:١٥٣]، و﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِى﴾ [يوسف:١٠٨].

وقد تجمع سبل، لكن المراد بها أنواعها وأفرادها وأنواع السبيل الواحد، وأنواعه التي تجتمع فيه، كالوادي العظيم الذي يحصر الشُّعَب من هنا وهناك، ولكن مرجعها إليه ومتفرعة منه، فكلها متفرعة من شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

۞ فإنه ﷺ جمعَ فيه ما يُخرِجُ عن مِلَلِ الكفرِ على اختلافِ عقائدِهم وتباعدها، فاقتصرَ ﷺ في هذه الأحرفِ على ما يباين به جميعَهم. انتهى[1]. [٧٩]

[شرح٧٩] وذلك لأن شهادة أن لا إله إلا الله تخرج من ملل الوثنيين وغيرهم الذين عبدوا مع الله إلهاً آخر، وشهادة أن محمداً رسول الله فيها الردّ على من أنكر رسالة محمد ﷺ من اليهود والنصارى وسائر ملل الكفر، ومنهم الوثنيون الذين كذبوه، عليه الصلاة والسلام.

وذكر عيسى فيه الردّ على اليهود والنصارى جميعاً، فاليهود جحدوه، والنصارى غلوا فيه وجعلوه إلهاً، فهذا ردّ على الجميع، على الطائفتين، وفي الجنة والنار ردّ على من أنكر الآخرة والبعث والنشور، هذه جماعة من الكفر؛ لأنها ترجع إلى هذا، ما بين ملة تنكر الآخرة ـ وهي أنواع، وهم كثيرون، فرد عليهم بمثل الجنة والنار ـ و بين ملة اليهود والنصارى، فقد رد عليهم بإثبات رسالة محمد ﷺ وبعيسى وبيان أنهم عبيد لله ﷻ. =

---

(١) ص٤٥.

.....

= وفي ذلك الرد على من غلا في محمد ﷺ وجعله إلهاً، أو أثبت آلهة أخرى تعبد مع الله، فرد عليهم بالشهادتين، وفي هذا الحديث ـ حديث عبادة ـ رد على جميع أنواع الكفر، وعلى جميع ملل الكفر الباطلة، وإثبات العقيدة الصحيحة بما يتفرع عنها من أنواع العقائد الصحيحة التي تتعلق بكل فرض مما جاء به الرسول ﷺ*.

* س: لكن قوله على اختلاف عقائدهم وتباعدها؟

ج: نعم، لأن ما بين اليهود والنصارى بعد عظيم، فاليهود تكذب عيسى، والنصارى تؤمن بعيسى وتغلوا فيه، فهذا بعد عظيم بين من كفر بهذا وأنكر وجوده وكفر به، ومن آمن به وصدقه فهذا فرق بعيد.

س: ومع ذلك، فهذا الفرق العظيم لا يخرج من مللها؟

ج: على تباعدها، هي ملل كفر، لكنها متباعدة في نفسها مختلفة، فليست ملة الشيوعيين الذين أنكروا وجود الله، وأنكروا كل شيء، مثل ملة اليهود والنصارى، وليست ملة اليهود مثل ملة النصارى، فاليهود غلوا في العزير وعبدوه مع الله، وكذبوا عيسى وأنكروه، وقالوا: هو ابن زنى، واتهموا مريم بذلك، والنصارى بالعكس، صدقوا وآمنوا بعيسى، لكن إيمان أغلبهم أخطأ فيه، فغلا فيه مع الله، وجعله إلهاً مع الله. =

.....

= وقليل منهم هو الذي أصاب الحق، وكلاهما أنكر محمداً ﷺ وكفر بمحمد، ولم يؤمن به إلا القليل منهم الذين آمنوا بمحمد ﷺ، فصاروا متفاوتين، كذلك المجوس هم ملة أخرى قائمة على الظلمة والنور، ولهم عقائد أخرى غير عقائد اليهود والنصارى، وهكذا بقية الكفرة من الصابئة وغير الصابئة وعباد الأوثان، وهم متفاوتون ومتباينون في كفرهم.

obeikandl.com

۞ ومعنى «لا إلهَ إلا اللهُ» أي: لا معبودَ بحقٍّ إلا إلهٌ واحدٌ، وهو اللهُ وحدَه لا شريكَ له؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥] مع قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

فصحَّ أن معنى «الإله» هو المعبودُ، ولهذا لما قال النبيُّ ﷺ لكفارِ قريشٍ: «قُولُوا: لا إله إلا الله» قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ﴾ [ص:٥][1]*.

---

* س: هذا الخبر؛ لما قال النبي ﷺ لكفار قريش: «قولوا: لا إله إلا الله» مَن خرجه[2]؟

ج: جاء هذا من طرق كثيرة من السيرة والتاريخ عند مبعث النبي ﷺ ذكر في كتب التاريخ وكتب السيرة وسيرة ابن هشام وكتب البداية والنهاية وغيرها، يعني: أنه جاء من طرق كثيرة عند تتبع طرقه، وهذه الطرق تحتاج إلى تتبع، لكنه مشهور يعني: ثابت المعنى في الجملة، والقرآن الكريم دل =

---

(١) ص٤٥.

(٢) انظر: «مسند أحمد» (١/ ٢٢٧ و١/ ٣٦٢)، وراجع طبعة مؤسسة الرسالة من «المسند» (٢٠٠٨) و(٣٤١٩)، ففيه تمام تخريجه وتنقيده.

.....

= على هذا، فإنهم ما قالوا: أجعل الآلهة إلا لما قال لهم هذا، ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ۝٤ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص:٤-٥].

أي: المعنى ثابت بالقرآن الكريم لأنه بعث بهذا الشيء، فالرسول بعث إليهم يدعوهم إلى توحيد الله، فهو قال لهم هذا وما أكثر منه، وكرر عليهم ذلك يأمرهم بـ«لا إله إلا الله» وأن فيها فلاحهم، وفيه أن يخضع لهم العرب وأن تؤدي إليهم العجم الجزية إلى غير ذلك، فهو شيء مستكثر ومن أراد تتبع طرقه يجده.

ومن هذا قولهم فيما حكاه الله في سورة الصافات: ﴿أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ۝٣٦﴾ أي: النبي ﷺ سمَّوه شاعراً ﴿بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات:٣٦-٣٧].

سموه شاعراً، وسموه مجنوناً، وهم المجانين وهم المساكين الجهلة، نسأل الله السلامة! وهم يعرفون أنه أصح الناس عقلاً وأكملهم أمانة وأثبتهم جناناً وأصدقهم لساناً، ولكن الهوى يُعْمي ويُصِم.

۞ وقال قومُ هودٍ: ﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ [الأعراف:٧٠]، وهو إنما دعاهم إلى «لا إلهَ إلا اللهُ»(١). [٨٠]

[شرح٨٠] لأنه ذكر في الآية الأخرى أن هوداً قال لقومه: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف:٦٥] في أول القصة، وهكذا قال نوح، وهكذا قال صالح، وهكذا قال إبراهيم، وهكذا قال شعيب، كلهم جميعهم يقولون: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾، فتجيبه عادٌ فتقول: ﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ [الأعراف:٧٠].

هذا اعتراف منهم بما دعاهم إليه، ومكابرة وإنكار وتكذيب، نسأل الله العافية، وهكذا أبو سفيان لما سأله هرقل: ماذا يقول لكم؟ قال: يقول: «اعبدوا الله وحده، ولا تشركوا به شيئاً، واتركوا ما يقول آباؤكم»(٢)*.

---

* س: أول واجب على الداعية أن يدعو الناس إلى تحقيق معنى هذه =

(١) ص٤٥.

(٢) أخرجه البخاري: بدء الوحي (٧).

.....

= الكلمة، أو يدعوهم إلى الخروج والزهد في العبادة، أو يدعوهم إلى إقامة الدولة الإسلامية، ما هو أول واجب على الداعية؟

ج: المدعَوْن يختلفون، فإن كان في قوم كفار كعباد الأوثان واليهود والنصارى يبدأ بما بدأ به النبي ﷺ، يبدأ بتوحيد الله، ودعوتهم إلى توحيد الله، ودعوتهم إلى معنى «لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله».

وأما إذا كان مع قوم يدعون الإسلام ويقولون: إنهم مسلمون، فإنه يدعوهم إلى تحقيق هذه الدعوى، ويبين لهم تحقيقها، وأن دعوى الإسلام ليس مجرد قول، لا بد من تصحيح هذا القول، ويبين لهم معنى «لا إله إلا الله» إذ وقعوا في الشرك بعبادة القبور، وأهل القبور، يبين لهم هذا الأمر حتى يخرجهم من ظلمات الشرك، وإن كان أمر الصلاة والصوم عندهم معروفاً، لكن يبين لهم أن الصلاة والصوم والزكاة والحج وأشباه ذلك لا تنفع أهلها حتى يصححوا هذا الأصل، وأنتم عندكم كذا وعندكم كذا وعندكم كذا إذا أمكن ذلك.

فإذا ما أمكن ذلك يبدأ معهم بتعظيم الصلاة، وتعظيم الزكاة، وتعظيم بر الوالدين، ويبين لهم هذه الأمور، حتى يركنوا إلى علمه ويعرفوا فضله، ثم يطمئنوا إليه، ثم ينتقل معهم إلى تصحيح العقيدة، لأنه إذا بدأهم بما هم عليه من الشرك، قد ينكرونه، ولا يستجيبون، لأنهم ليسوا من جنس الذين =

.....

= ليس عندهم صلاة ولا صوم، فهؤلاء يدعون الإسلام.

كذلك إذا كان مع قوم يدعون نبوة شخص آخر، وهم يصلون ويصومون، لكن عندهم شرك آخر، وهو الإيمان بنبوة إنسان جديد، مثل القاديانية يبين لهم بطلان ما هم عليه من اعتقاد نبوة فلان، وأنها تبطل عليهم صلاتهم وصيامهم وإسلامهم وكل شيء، حتى يعرفوا أنهم على خطر، وأن هذا العمل الذي يعملوه يفضي بهم إلى النار، وإلى بطلان ما هم عليه من العبادات التي يدعون أنهم بها مسلمون.

وهكذا مع اليهود والنصارى، يبين لهم ضلالهم في إنكار نبوة محمد ﷺ وفي إنكار عيسى، ويبين للنصارى ضلالهم في غلوهم في عيسى، يعني: المدعوون يختلفون لا بد أن يكون الداعية له فطنة، وله نظر في أحوال المدعوين، والجامع لهذا أن ينكر على المدعوين ما هم عليه من الباطل، وأن يشكرهم على ما هم عليه من الحق، وأن هذا طيب، وهذا العمل طيب، ولكن لا يتم هذا الأمر إلا بهذا الأمر، هذا من شرط هذا، ويبين لهم نفس الأشياء التي وقعوا فيها من الباطل بالأسلوب الحسن، والأسلوب الطيب الواضح.

۞ فهذا هو معنى «لا إلهَ إلا اللهُ» وهو عبادةُ الله وتركُ عبادةِ ما سواه، وهو الكفرُ بالطاغوتِ والإيمانُ بالله.

فتضمَّنت هذه الكلمةُ العظيمةُ أن ما سوى الله ليسَ بإلهٍ، وأن إلهيةَ ما سواهُ أبطلُ الباطلِ، وإثباتَها أظلمُ الظلمِ، فلا يستحقُّ العبادةَ سواه، كما لا تصلح الإلهيةُ لغيرِه، فتضمَّنت نفي الإلهيةِ عما سواه، وإثباتَها له وحدَه لا شريكَ له.

وذلك يستلزِمُ الأمرَ باتخاذه إلهاً وحدَه، والنهيَ عن اتخاذِ غيرِه معه إلهاً، وهذا يفهمُه المخاطَبُ[1] من هذا النفي والإثباتِ، كما إذا رأيتَ رجلاً يَستَفتي أو يَستشهِد مَن ليس أهلاً لذلك، ويَدَعُ مَن هو أهلٌ له،

فتقول: هذا ليس بِمُفتٍ ولا شاهدٍ، المفتي فلانٌ، والشاهدُ فلانٌ، فإن هذا أمرٌ منه ونهيٌ.

وقد دخل في الإلهيةِ جميعُ أنواعِ العبادةِ الصادرةِ عن تألُّهِ القلبِ لله بالحبِّ والخضوعِ، والانقيادِ له وحدَه لا شريكَ =

(١) قال سماحة الشيخ: يعني المخاطب العربي، أما غير العربي فيحتاج إلى الترجمة.

= له، فيجبُ إفرادُ الله تعالى بها كالدعاءِ والخوفِ والمحبَّةِ، والتوكُّلِ والإنابةِ، والتوبةِ، والذَّبح، والنَّذر، والسجود، وجميعِ أنواعِ العبادةِ، فيجبُ صرفُ جميع ذلك لله وحدَه لا شريكَ له، فمن صرفَ شيئاً مما لا يصلُح إلا لله مِن العباداتِ لغيرِ الله، فهو مشركٌ، ولو نطقَ بـ «لا إلهَ إلا اللهُ» إذ لم يعمَل بما تقتضِيه من التوحيدِ والإخلاص[1]. [٨١]

[شرح٨١] حتى حلق الشعر، من حلقه لله فقد عبد الله، ومن حلقه للشيخ صاحب القبر، وللشجرة أو لفلان وفلان، فقد صار مشركاً به؛ لأن الحلق جعله الله نسكاً في الحج والعمرة، وعبادة يؤجر عليها، فإذا حلق رأسه يبتغي ما عند الله فقد عبده، وإذا حلق رأسه ليحج المشاهد ويحج القبور، فهذا حلقه للشيخ المدفون، فقد عبده بذلك، فالمعول على النيات.

---

(١) ص٤٦.

ذكر نصوص العلماء في معنى الإله

۞ قال ابنُ عباس ﷺ: اللهُ ذو الأُلوهيةِ والعبوديةِ على خلقِه أجمعين.

رواه ابنُ جَرِيرٍ وابنُ أبي حاتم.

وقال الوزيرُ أبو المظفَّر في «الإفصاح»: قولُه: (شهادةُ أن لا إله إلا الله) يقتضي أن يكونَ الشاهدُ عالماً بأن: لا إلهَ إلا اللهُ؛ كما قال الله ﷻ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد:١٩].

وينبغي أن يكونَ الناطقُ بها شاهداً فيها، فقد قال الله ﷻ ما أوضحَ به أن الشاهدَ بالحقِّ إذا لم يكن عالماً بما شهدَ به؛ فإنه غيرُ بالغٍ مِن الصدقِ به مع من شَهدَ من ذلك بما يعلمُه في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف:٨٦].

قال: واسمُ الله تعالى مرتفعٌ بعد (إلا) من حيث إنَّه واجبٌ له الإلهيةُ، فلا يستحقُّها غيرُه، سبحانَه[1]. [٨٢]

[شرح٨٢] (لا إله إلا الله) «لا إله» تقتضي اسماً وخبراً، وقد غلط =

(١) ص٤٦.

.....

= بعض الناس فظن أنها مثل: لا شمس إلا الشمس، وهذه معناها أن لا شمس موجودة إلا الشمس، والمعنى خلاف هذا المعنى، والمعنى: لا إله حق، أو لا إله موجود بحق، فهو مقيد بالحق «إلا الله»، والقاعدة أن الاستثناء بعد الكلام التام غير الموجب يكون ما بعده مرفوعاً لا منصوباً، وهذا هو الأرجح فيه.

وهنا لما كان المعنى نفي الألوهية عن غير الله، وإثباتها لله ﷻ، فصار كأنه مفرغ، أي: لا يوجد إله غيره فقط، لا إله إلا الله؛ لأنه المقصود بالاستثناء، والمقصود بالإثبات، إثبات الألوهية لله ﷻ، وكأنه لا إله موجود بالكلية؛ لأن وجود أشياء بغير حقٍّ وجودها كعدمها؛ فصار المستثنى بعد إلا ليس فيه إلا الرفع، لا إله إلا الله، المعنى: لا إله موجود بحق إلا هو ﷻ، أو لا إله حق وإن كان موجوداً فالمعنى مستقيم أي: لا مألوه حق.

الإله هو المألوه، مثل البساط بمعنى المبسوط، والكتاب بمعنى المكتوب، أي: لا مألوه بحق، ولا معبود بحق إلا الله، فالمألوهات موجودة وكثيرة؛ كاللات والعزى ومناة، وهذا عند المشركين فيما =

.....

= يطلقونه على ما يعبدون من أصنامهم وأوثانهم، فهي عندهم آلهة، وسماها الله آلهة؛ فقال تعالى: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ﴾ [ص:٥].

ويسمونها ويعتبرونها آلهة، لها يخضعون، ولها ينذرون، ولها يذبحون ولها يطوفون إلى غير ذلك؛ لكنهم يعلمون فضل الكعبة عليها، وفضل الله عليها ﷻ، ولكنهم مع هذا كله فهم يشركونها، ويجعلون له أنداداً، فالله ـ جل وعلا ـ أمر نبيه وأنزل في كتابه هذه الكلمة؛ ليعلم الناس أن الإله المعبود بحق هو الله وحده ﷻ، وأن هذه الآلهة ـ وإن سموها آلهة ـ لا قيمة لها؛ لأنها عبدت بالباطل والهوى والظن الفاسد والجهل؛ فلا قيمة لها ولا أساس لعبادتها؛ لأنها لا تخلق، ولا ترزق، ولا تنفع، ولا تضر، فهي ما بين جماد لا إحساس، وما بين ميت لا شعور له، وما بين حيوان لا قيمة له، إلى غير ذلك*.

---

* س: هؤلاء المشركون وقت الرسول ﷺ الذين يعترفون بأن الله هو الخالق الرازق، هل يسمون مؤمنين بالله؟

ج: عند بعضهم نوع من الإيمان، وليس إيماناً مطلقاً ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ =

.....

= ﴿أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف:١٠٦] ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [العنكبوت:٦١] هذا نوع من إيمان ونوع من تصديق؛ لكنه تصديق لا ينفع صاحبه شيئاً، ما دام أنه نقض بشرك بالله، صار وجوده كعدمه، واستحقوا بشركهم الكفر والضلال والخلود في النار والعياذ بالله؛ فإن بعض الإيمان لا ينفع.

فلو أنه سب الله ورسوله، وآمن باليوم الآخر، وآمن بالجنة والنار، فلا ينفعه هذا الإيمان فهو إيمان لكنه لا ينفع، جاء ما يبطله وينقضه، وهذا كأن يقول: أنا أعترف أن هذا والدي، وله حق علي كبير، وله كذا وله كذا، ولكنه يسبه ويضربه ويؤذيه كل الأذى، فما قيمة هذا الاعتراف؟! وأي شيء يفيد هذا الاعتراف؟! وهكذا أمه وأخوه ونحو ذلك.

وفي هذا نوع من التنبيه فما يتعلق بالله أعظم من ذلك وأكبر؛ لكن بما يقرر ذلك، فإن الحقائق إنما تحصل بوجوبها ومراعاتها، لا بالدعوى، ثم الدعاوى بابها واسع؛ لكن من اهتمامه بالحقائق، فالدعاوى إن لم تؤيدها الحقائق والبراهين فهي دعاوى فاسدة وباطلة وإن كان فيها نوع حق لا قيمة له.

۞ قال: واقتضى الإقرار بها أن تعلمَ أن كلَّ ما فيه أَمَارةٌ للحدَثِ، فإنه لا يكون إلهاً؛ فإذا قلت: (لا إلهَ إلا اللهُ) فقد اشتمل نطقُكَ هذا على أن ما سوى الله ليس بإلهٍ؛ فيلزمُك إفرادُه ـ سبحانَه ـ بذلك وحدَه، قال: وجملةُ الفائدةِ في ذلك أن تعلمَ أن هذه الكلمةَ هي مشتملةٌ على الكفرِ بالطاغوت والإيمانِ بالله؛ فإنكَ لما نفيتَ الإلهيةَ، وأثبتَّ الإيجابَ لله ـ سبحانَه ـ كنت ممن كفرَ بالطاغوت وآمنَ بالله.

وقال أبو عبدِ الله القُرطُبيُّ في «التفسير»: (لا إلهَ إلا هُوَ) أي: لا معبودَ إلا هو[1].[2] [٨٣]

[شرح٨٣] وعبارة القرطبي هذه ناقصة، ينقصها كلمة «بحق» فقوله: لا معبود إلا هو، لا يكفي، وهذا لو أخذ على ظاهره، دخل في مذهب الوجودية، وعلى وحدة الوجود؛ فإن الذين يدَّعون وحدة الوجود يقولون: ما عبد إلا الله، ولو عبد فرعون: ولو عبد العجل، فما عبد إلا الله؛ لأنهم يرون أن هذه المخلوقات مظاهر لله، =

(١) «تفسير القرطبي» (١/ ١٩١)، الآية: ١٩٣، من سورة البقرة.

(٢) ص٤٦-٤٧.

.....

= فمن عبد العجل أو عبد فرعون أو عبد الأصنام فقد عَبَد الله، نسأل الله العافية.

فهذه انتكاسة في القلب غاية الانتكاسة، فهذا يمشي على هذا القول، فإذا قلنا: لا معبود إلا الله مطلقاً، فمعنى ذلك أن اللات والعزى وما أشبه ذلك هي الله ـ ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران:٧٣] ـ فمن عبد غيره فقد عبده، فهذا ضلال بعيد، ونقد للحقائق، وكفر فيما جاءت به الرسل؛ ولهذا لا بد من قيد، قال ﷻ في كتابه العظيم في سورة الحج ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الحج:٦٢]، وهكذا في سورة لقمان: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [لقمان:٣٠]، المقصود أنه أوضح ﷻ أن المعبود بحق هو الله وحده ـ جل وعلا ـ دون كل ما سواه، ﷻ.

۞ وقال الزَّمَخشَرِيُّ: (الإلهُ) مِن أسماءِ الأجناسِ؛ كالرجلِ والفرسِ، اسمٌ يقعُ على كلِّ معبودٍ بحقٍّ أو بباطلٍ، ثم غلبَ على المعبودِ بحقٍّ[1].[2] [٨٤]

[شرح٨٤] كلام جيد؛ لكن قوله: «غلب» فيه نظر؛ فلو قال: ثم جاءت الرسل ببيان أنه بحق؛ أما المشركون فلم يغلب عندهم هذا، وغلب عليهم أن يقولوا: بحق الإله، وغلب عليهم أن الآلهة كلها صالحة.

لكن هذا إنما جاءت الرسل ببيانه، وردت على المشركين من سائر الأصناف، كمشركي أهل الكتاب، ومشركي العرب، ومشركي غيرهم؛ فإن الآلهة نفسها عند العرب وعند العجم؛ فإن العرب عندهم آلهة، والرومان عندهم آلهة، والمجوس عندهم آلهة، وسائر الأمم والطوائف؛ كل طائفة ترى أن آلهتها صالحة لمن عبدته، وأنها أولى بما صارت إليه، وربما فخرت على غيرها، كما تفخر قريش على غيرهم بالعزى، وكما تفخر ثقيف على غيرها بأن =

---

(١) «الكشاف» (١/ ٣٦)، تفسير البسملة.

(٢) ص٤٧.

.....

= إله اللات أولى من غيره، وهكذا.

فالمقصود أنهم لُبِّسَ عليهم الأمرُ، فصارت كل طائفة، أو كل قبيلة، أو كل أهل ناحية، يرون أنهم قد حصلوا شيئاً بهذا الإله وغيره من الآلهة التي عندهم، ويفخرون بها على من سواهم؛ لكن جاءت الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ تصحح الأوضاع، وتبين الحقائق، وجاءت الكتب من الله ﷻ لبيان ما هو الحق من هذه الأمور، وأن الإله الحق الذي يجب أن يعبد، ويجب أن يطاع أمره، ويجب أن يوقف على الحدود التي حدَّها ﷻ هو الله وحده ـ جل وعلا ـ فقول الزمخشري: (ثم غلب) فيه نظر، وعليه أن يقول: ثم جاءت الرسل، أو ثم بعث الله الرسل، أو ثم نزلت الكتب، أو ثم قال في الأدلة، فهذا أصوب.

۞ وقال شيخُ الإسلامِ: الإلهُ هو المعبودُ المطاعُ[1]. [٨٥]

[شرح٨٥] تقدم في المقدمة أن المراد بشيخ الإسلام هو ابن تيمية، فإذا أطلق فالمراد أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحرّاني المعروف، صاحب التصانيف السائرة، وصاحب الأقوال السديدة، المجتهد المطلق الإمام، رحمة الله عليه، المتوفى سنة ثمان وعشرين وسبع مئة، فهو من أعيان المئة السابعة والثامنة جميعاً، ومن مجتهدي القرنين السابع والثامن.

(١) ص٤٧.

obeikandl.com

۞ وقال أيضاً: في (لا إلهَ إلا اللهُ): إثباتُ انفرادِه بالإلهيةِ، والإلهيةُ تتضمَّن كمالَ علمِه وقدرتِه ورحمتِه وحكمتِه، ففيها إثباتُ إحسانِه إلى العبادِ؛ فإنَّ الإلهَ هو المألوهُ، والمألوهُ هو الذي يستحقُّ أن يُعبَدَ.

وكونه (يستحقُّ أن يُعبَدَ) هو بما اتَّصفَ به من الصفاتِ التي تستلزم أن يكونَ هو المحبوبَ غايةَ الحبِّ، المخضوع له غايةَ الخضوعِ[1]. [٨٦]

[شرح٨٦] ولهذا في إثبات توحيد العبادة لله وحده، في إثبات ذلك ضمناً، إثبات توحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات؛ لأن من كان مستحقاً للعبادة دون كل ما سواه هو المألوه بحق، وهو الذي يستحق أن يحب غاية المحبة، ويذل له غاية الذل، ويخضع له غاية الخضوع، ويطاع غاية الطاعة، وما ذاك إلا لأنه الكامل في ربوبيته وأسمائه وصفاته، وقادر على كل شيء، يسمع دعاء الداعين، ويقدر على إجابتهم، وينفع ويضر، ويعطي ويمنع، إلى غير ذلك. =

(١) ص٤٧.

.....

= فدخول الربوبية والأسماء والصفات في توحيد العبادة من الدخول ضمناً؛ أي: أن إقرار العبد بتوحيد الألوهية، وأن الله هو المستحق للعبادة، يدخل في ضمنه إقراره وإيمانه بأنه ربّه وخالقه ورازقه، وأنه كامل بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، إذ لولا ذلك لما خضع وعَبَدَ الله، واعترف أنه مستحق للعبادة، فلما انتفت هذه الأمور عن آلهة المشركين، صارت غير صالحة، وصارت باطلة؛ لأنها لا تخلق ولا ترزق، ولا تنفع ولا تضر، ولا تستقل بالأشياء؛ بل هي عاجزة مرزوقة مخلوقة*.

---

* **س: أكثر المتكلمين لا يعرف من معنى التوحيد إلا توحيد الربوبية فقط، فهل يكونون موحدين ؟**

ج: هذا هو المعروف عندهم، ولكنهم لا يكونون موحدين إلا بتوحيد العبادة؛ أي: الإيمان بأن الله هو المستحق للعبادة ـ جل وعلا ـ أما أكثر المتكلمين لا يعرف إلا توحيد الربوبية، حتى قالوا: لا إله إلا الله، أي: لا قادر إلا الله، أو لا خالق إلا الله، أو ما أشبه ذلك.

س: أكثر الكتب العصرية الجديدة التي ملأت الأسواق بأسماء كتب إسلامية لا تقرر إلا هذا الجانب، وأكثر الشباب يتناولها ويهضمها ويتصور =

.....

= ما فيها، ويمكن أن تظهر آثارها عليه، ولذلك فالكلام في توحيد العبادة ـ الآن ـ صار مرغوباً عنه عند أكثر الناس.

ج: وهذا مما يوجب على طلبة العلم الاستكثار من بحث هذا الموضوع، ويوجب أيضاً نشر الكتب التي تقرر هذا الشيء، وتوضحه وتبينه بين الناس وفي المكاتب، ولا يكفي مجرد نشرها بالمجان؛ لأنه إنما يكون لبعض الناس دون بعض؛ لكن إذا نشرت عن طريق التجارة في المكاتب التي فيها البيع، عمّ نفعها للناس، لأن بعض الناس قد لا يدرك الشيء الذي يوزع، ولا يهتم بالتوزيع، ولا يطلبوا الشيء الذي يوزع بالمجان؛ لكن إن كانت في المكاتب نفعت الناس من طريق الشراء.

obeikandl.com

۞ وقال ابنُ القيِّم، رحمه الله: الإله هو الذي تَأْلَـهُه القلوبُ محبَّةً وإجلالاً، وإنابةً، وإكراماً وتعظيماً، وذُلاً وخُضوعاً، وخوفاً ورَجاءً، وتوكُّلاً[1]. [٨٧]

[شرح٨٧] ابن القيم معروف ـ رحمة الله عليه ـ فهو أشرف وأفضل وأشهر تلاميذ أبي العباس المتقدم شيخ الإسلام، وهو الذي عُنيَ غاية العناية بنشر كلمات شيخه وإمامه أبي العباس، ونشر كتبه، والعناية بما في كتبه من الخير، وكذلك نشرها بين الناس، والدعوة إلى ما فيها من التحقيق، وقد ألف المؤلفات الكثيرة العظيمة التي من تأملها، عرف فقهه وفضله وعلمه، وما أعطاه الله من سَعَة الباع في العلوم كلها، وكان من مواليد عام ست مئة وإحدى وتسعين، وتوفي ـ رحمه الله ـ سنة إحدى وخمسين وسبع مئة، بعد شيخه بمدة، بثلاث وعشرين سنة، رحمه الله.

---

(١) ص٤٧.

۞ وقال ابنُ رَجَبٍ، رحمه الله: الإلهُ هو الذي يُطاع، فلا يُعصَى هيبةً له، وإجلالاً ومحبَّةً، وخوفاً ورجاءً، وتوكُّلاً عليه، وسؤالاً منه، ودعاءً له، ولا يَصلُح ذلك كلُّه إلا لله ﷻ[1]. [٨٨]

[شرح٨٨] من جعل مخلوقاً بهذه المثابة حياً أو ميتاً فقد عبده، وجعل مخلوقه الذي يحبه ويألهه، ويتوكل عليه، ويعتقد فيه أنه صالح لذلك، وأنه الذي يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، وما أشبه ذلك من خصائص الإلهية، فقد عبده، والله المستعان.

---

(١) ص٤٧.

۞ فمن أشركَ مخلوقاً في شيءٍ من هذه الأمورِ التي هي من خَصائصِ الإلهيةِ، كان ذلك قَدْحاً في إخلاصِه في قول: (لا إلهَ إلا اللهُ) ونقصاً في توحيدِه، وكان فيه من عبوديةِ المخلوقِ بحَسَبِ ما فيه من ذلك، وهذا كلُّه من فُروعِ الشِّركِ.

وقال البِقَاعيُّ: (لا إلهَ إلا اللهُ) أي: انتفى انتفاءً عظيماً أن يكونَ معبودٌ بحقٍّ غيرَ الملكِ الأعظمِ؛ فإنَّ هذا العِلمَ هو أعظمُ الذِّكْرَى المُنجيَة من أهوالِ الساعةِ، وإنما يكون عِلماً إذا كان نافعاً، وإنما يكون نافعاً إذا كان الإذعانُ[1]، والعملُ بما تقتضيه، وإلا فهو جهلٌ صَرفٌ.

وقال الطِّيبيُّ: (الإلهُ) فِعالٌ بمعنى مفعولٍ، كالكتابِ بمعنى المكتوب، مِن أَ لَهَ إلاهَةً كعَبَد عِبادةً، وهذا كثيرٌ جداً في كلام العلماءِ، وهو إجماعٌ منهم أنَّ الإلهَ هو المعبودُ؛ خلافاً لما يعتقدُه عُبّادُ القبورِ، وأشباهُهم في معنى الإلهِ أنه الخالقُ، أو القادرُ على الاختراعِ، أو نحوُ هذه العباراتِ، ويظنُّونَ =

(١) قال سماحة الشيخ: برفع الإذعان، يعني: إذا وجد معه الإذعان، وإذا قلت: إذا كان مع الإذعان، يكون أحسن وأوضح.

= أنهم إذا قالوها بهذا المعنَى، فقد أَتَوْا من التوحيد بالغايةِ القُصْوَى، ولو فَعَلوا ما فَعَلوا من عبادةِ غيرِ الله، كدعاءِ الأمواتِ[1]. [٨٩]

[شرح٨٩] وإذا قيل لهم: إن هذا شرك، قالوا: لا، ما نعتقد أنهم خالقون، ولا رازقون، إنما نعتقد أنهم شفعاء عند الله، فلا يكون شركاً، المساكين هذا ظنهم.

وهو نفس ما قاله المشركون الأوائل سواء بسواء، فإن أهل الشرك وغيرهم ما قالوا: إنها آلهة تخلق وترزق، بل قالوا: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس:١٨] ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣].

فعُبّاد البدوي، وأشباه البدوي، وغيره، إذا قيل لهم: هذا شرك، استعظموا هذا، وأنكروا، وصاحوا، وزعموا أن الذي قال هذا الكلام كذا وكذا، رموه بالعظائم، وقالوا: ما يكون شركاً إلا لو اعتقدنا أنهم يخلقون، أو يرزقون، أو يدبرون هذا العالم، أو ما أشبه ذلك. =

---

(١) ص٤٧.

.....

= أما ما دمنا ندعوهم ونرجوهم ونسألهم، معتقدين أنهم شفعاء، لا خالقون، ولا رازقون، فليس هذا بشرك.

ومعنى ذلك أن أهل قريش وأشباههم ليسوا مشركين؛ لأنهم ما اعتقدوا إلا أنهم شفعاء، نسأل الله السلامة*.

*** س: إن رأيت أحداً يدعو صاحب القبر ويستغيث به، فهو مصاب بالشرك، فهل أدعوه على أنه مسلم، أم أدعوه على أنه مشرك، إذا أردت أن أدعوه إلى الله ﷻ، وأن أبيّن له؟**

ج: ادعه بعبارة أخرى، لا هذه ولا هذه، قل له: يا فلان يا عبد الله عملك هذا الذي فعلته شرك، وليس عبادة، هو عمل المشركين الجاهليين، عمل قريش وأشباه قريش؛ لأن هنا مانعاً من تكفيره، ولأن فيه تنفيره، أول ما تدعوه؛ ولأن تكفير المعين غير العمل الذي هو شرك، فالعمل شرك، ولا يكون العامل مشركاً، فقد يكون المانع من تكفيره جهله أو عدم بصيرته، على حد قول العلماء، وأيضاً في دعوته بالشرك تنفير، فتدعوه باسمه، ثم تبين له أن هذا العمل شرك.

س: ما الراجح في تكفير المعيَّن؟

ج: إذا قامت عليه الأدلة والحجة الدالة على كفره، ووضح له السبيل، =

.....

= ثم أصر، فهو كافر.

لكن بعض العلماء يرى أن من وقعت عنده بعض الأشياء الشركية، وقد يكون ملبساً عليه، وقد يكون جاهلاً، ولا يعرف الحقيقة، فلا يكفره، حتى يبين له، ويرشده إلى أن هذا كفر وضلال، وأن هذا عمل المشركين الأولين، وإذا أصر بعد البيان يحكم عليه بكفر معين.

س: ما حكم الذين يزورون الكهان، ويبيّن لهم، ثم يعودون؟

ج: يبين لهم أن هذا معصية كبيرة في الدين، والواجب عليهم ترك هذا الشيء، وهو من الشرك بالله.

س: وما الحكم إذا بيّن لهم هذا، ثم عادوا مرة أخرى؟

ج: يستحقون الهجر، والتأديب، فيضربون، ويسجنون، أما إذا كانوا يزعمون أنهم يعلمون الغيب فهذا كفر. وإلا فيجب أن يعلموا أن هذا لا يجوز، وإذا كان عندك قدرة على سجنهم وتأديبهم، اسجنهم وأدبهم، كالأمير ونحوه.

س: هل نكفر هذا الشخص التي قامت عليه الأدلة، وأصر، وكان إصراره مبنياً على شبهة قوية؟

ج: ما دام الأدلة قامت عليه فلا يبالى به، فيستحق التكفير، فمن قامت عليه الأدلة فإنها تكفيه ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ =

.....

= ﴿يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التوبة:١١٥]، فما قال: حتى يتبين، بل قال: ﴿حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم﴾ فالمفروض البيان، فالرسل جاءت للبلاغ والبيان، ولو لم يفهم الناس، قال الله في القرآن: ﴿لَّا يَفْقَهُونَ﴾ و﴿لَا يَعْقِلُونَ﴾، فإذا قامت عليهم الأدلة كفى، ولو قالوا: ما فهمنا وما عقلنا، لأن الله قال: ﴿لَا يَفْقَهُونَ﴾ و﴿لَا يَعْقِلُونَ﴾.

obeikandl.com

۞ والاستغاثةِ بهم في القُرباتِ، وسؤالِهم قضاءَ الحاجاتِ، والنذرِ لهم في المُلِمّاتِ، وسؤالِهم الشفاعةَ عندَ ربِّ الأرضِ والسماواتِ، إلى غيرِ ذلك من أنواع العباداتِ.

وما شعروا أن إخوانَهم من كفارِ العربِ يشاركونهم في هذا الإقرارِ، ويعرفون أن الله هو الخالقُ القادرُ على الاختراعِ، ويعبدونه بأنواعٍ من العباداتِ، فَليَهنَ أبو جهلٍ وأبو لهبٍ ومَن تبعَهما بحُكمِ عُبّاد القبورِ[1]. [٩٠]

[شرح٩٠] فليهنأ أبو جهل وأبو لهب على هذه العقيدة التي أعطاه إياها عباد القبور، أنه ما عاش على شرك، لأن عباد القبور حكموا لهم بالإسلام*.

---

* س: (ومن تبعهما) أو (ومن يتبعهما)؟

ج: الأمر قريب، لكن الفعل الماضي أحسن، لأنه يشمل من تبعهما في الماضي ومن سيتبعهما في المستقبل، و«يتبعهما» أيضاً مستقيمة.

س: هل يسوغ للشاب أن يخرج باسم الدعوة، ولا يجد في خروجه إلا =

---

(١) ص٤٧-٤٨.

.....

= تقرير هذا التوحيد، الذي هو معنى القادر على الاختراع، أو الاستفادة من قدرة الله، أي: معنى لا إله إلا الله؟ هل يسوغ له أن يخرج من بلاد التوحيد ليقوي إيمانه وليتعلم الدعوة، لكنه لا يجد إلا هذا التوحيد؟

ج: يضم إليه التوحيد الآخر.

س: لكنه جاهل؟

ج: لا بد أن يضم إليه التوحيد الآخر، أو أن يخرج لمعنى آخر، لتوضيح معاني الأحكام الشرعية للمسلمين، لا للكافرين؛ لأن الكافر يدعى أولاً للتوحيد.

obeikandl.com

۞ وَليَهنَ أيضاً إخوانُهم، عُبّادُ وَدٍّ وسُوَاعٍ ويَغُوثَ ويَعُوقَ ونَسرٍ، إذ جعل هؤلاء دينَهم هو الإسلامَ المبرور.

ولو كان معناها ما زعمَه هؤلاء الجهّالُ لم يكن بين الرسولِ ﷺ وبينهم نزاعٌ، بل كانوا يبادِرون إلى إجابتِه، ويلبُّون دعوتَه، إذ يقول لهم: قولوا: لا إلهَ إلا اللهُ، بمعنى أنه لا قادرَ على الاختراع إلا اللهُ، فكانوا يقولون: سمعنا وأطعنا.

قال الله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف:٨٧] ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الزخرف:٩] ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾ الآية [يونس: ٣١]، إلى غير ذلك من الآيات.

لكنَّ القومَ أهلُ اللسانِ العربي، فعلموا أنها تهدِمُ عليهم دعاءَ الأمواتِ والأصنامِ من الأساسِ، وتَكُبُّ بناءَ سؤالِ الشفاعةِ من غيرِ الله، وصرفَ الإلهيةِ لغيره لأُمِّ الرّاسِ، =

= فقالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣] ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس:١٨] ﴿أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص:٥]، فتبّاً لمن كان أبو جهلٍ ورأسُ الكفرِ من قريشٍ وغيرُهم أعلمَ منه بـ«لا إلهَ إلا اللهُ».

قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾﴾ [الصافات]، فعرفوا أنها تقتَضي تركَ عبادة ما سوى الله، وإفرادَ الله بالعبادةِ، وهكذا يقول عُبّادُ القبورِ إذا طلبتَ منهم إخلاصَ الدعوةِ والعبادةِ لله وحدَه: أنترُكُ سادتَنا وشفعاءَنا في قضاءِ حوائجِنا.

فيُقال لهم: نعم، وهذا التَّركُ والإخلاصُ هو الحقُّ، كما قال تعالى: ﴿بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات:٣٧][1]. [٩١]

[شرح٩١] وهذا نفس قول عاد، لما قال لهم هود: اعبدوا الله، ﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ =

---

(١) ص٤٨.

.....

= ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الأعراف: ٧٠]، فأبوا عليه وطلبوا أن يأتيهم بالعذاب، نسأل الله العافية.

وقول المؤلف: (تَكُب): لأنه يتعدى في الثلاثي، ويلزم في الرباعي: أكبَّ على كذا، لا يتعدى، وكب يكب: طرحه، وفي الحديث: «وهل يَكُبُّ الناسَ في النار على وُجوهِهم إلا حصائدُ ألسنتهم»[1].

هذا من الكلمات القليلة التي إذا دخلتها الهمزة صارت لازمة، وإذا حذفت الهمزة صارت متعدية: أكب يكب، لازم، وكب يكب، متعد. و«تكب» معطوفة على «تهدم» مرفوعة.

(١) أخرجه الترمذي: الإيمان (٢٦١٦)، وابن ماجه: الفتن (٣٩٧٣).

۞ فـ«لا إلهَ إلا اللهُ» اشتَملَت على نفيٍ وإثباتٍ، فنَفَتِ الإلهيةَ عن كلِّ ما سوى الله تعالى، فكل ما سواه من الملائكةِ والأنبياءِ، فضلاً عن غيرِهم، فليس بإلهٍ، ولا له من العبادةِ شيءٌ.

وأثبتَتِ الإلهيةَ لله وحدَه، بمعنى أن العبدَ لا يَألَهُ غيرَه، أي: لا يقصدُه بشيءٍ من التَّألُّه، وهو تعلقُ القلبِ الذي يوجبُ قصدَه بشيءٍ من أنواع العبادةِ؛ كالدعاءِ والذبحِ والنذرِ وغيرِ ذلك، وبالجملةِ فلا يَألَهُ إلا اللهَ، أي: لا يَعبدُ إلا هو، فمن قال هذه الكلمةَ عارفاً لمعناها، عاملاً بمقتضاها، من نفي الشركِ، وإثباتِ الوحدانيةِ لله، مع الاعتقادِ الجازمِ لما تضمَّنته من ذلك، والعملِ به فهذا هو المسلمُ حقّاً، فإن عَمِل به ظاهراً من غيرِ اعتقادٍ، فهو المنافقُ، وإن عَمِل بخلافِها من الشركِ فهو الكافرُ ولو قالها.

ألا ترَى أن المنافقين يعملون بها ظاهراً، وهم في الدَّركِ الأسفلِ من النارِ، واليهودَ يقولونها، وهم على ما هم عليه من الشركِ والكُفرِ، فلم تنفَعهم. =

= وكذلك مَن ارتدَّ عن الإسلامِ بإنكارِ شيءٍ من لوازمِها وحقوقِها، فإنها لا تنفعُه، ولو قالها مئةَ ألفٍ، فكذلك مِن يقولها ممن يصرِفُ أنواعَ العبادةِ لغيرِ الله، كعُبّادِ القبورِ والأصنامِ، فلا تنفعُهم، ولا يدخلون في الحديثِ الذي جاء في فضلِها وما أشبهه من الأحاديثِ.

وقد بيَّن النبيُّ ﷺ ذلك بقوله: «وحدَه لا شريكَ»[1] تنبيهاً على أن الإنسانَ قد يقولُها، وهو مشركٌ كاليهودِ والمنافقينَ وعُبّادِ القبورِ، لما رَأَوْا أن النبيَّ ﷺ دعا قومَه إلى قولِ: «لا إلهَ إلا اللهُ» ظنُّوا أنه إنما دعاهم إلى النُّطقِ بها فقط، وهذا جهلٌ عظيمٌ.

وهو ـ عليه السلامُ ـ إنما دعاهم إلى أن يقولوها، ويعملوا بمعناها، ويتركوا عبادةَ غيرِ الله، ولهذا قالوا: ﴿أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ﴾ [الصافات:٣٦]، وقالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًا﴾ [ص:٥] فلهذا أَبَوْا عن النُّطقِ بها، وإلا =

(١) انظر حديث عبادة بن الصامت، سلف ذكره في الفقرة [٧٦]، ص١٨٠.

= فلو قالوها، وبَقُوا[1] على عبادةِ اللّاتِ والعُزَّى ومناةَ، لم يكونوا مسلمين، ولقاتلَهُم ـ عليه السلام ـ حتى يخلعوا الأندادَ، ويتركوا عبادتَها، ويعبدوا اللهَ وحدَه لا شريكَ له.

وهذا أمرٌ معلومٌ بالاضطرارِ من الكتابِ والسُّنَّةِ والإجماعِ.

وأما عُبّادُ القبورِ فلم يعرفوا معنى هذه الكلمةِ، ولا عَرَفوا الإلهيةَ المنفيَّة عن غيرِ الله، الثابتةَ له وحدَه، لا شريكَ له، بل لم يعرفوا من معناها إلا ما أقرَّ به[2] المؤمنُ والكافرُ، واجتمع عليه الخَلقُ كلُّهم، من أن معناها: لا قادرَ على الاختراعِ، أو أن معناها: الإلهُ هو الغنيُّ عما سواه، الفقيرُ =

(١) قال سماحة الشيخ: وبَقُوا بضم القاف، إذا كان الفعل الماضي على صيغة فَعِلَ وهو معتلٌّ بالواو يضم: كبَقُوا ورَضُوا.

(٢) أحد الطلبة: عندنا بالمطبوعة: (لم يعرفوا من معناه إلا ما أقر به...)، وفي المخطوطة: (لم يعرفوا من معناها...) فما الصواب؟

الشيخ: الصواب ما في المخطوطة: معناها، بالتأنيث، يعني: لا إله إلا الله. و(معناه) له وجه، أي: معنى الكلام، ولكن التأنيث أوضح.

أحد الطلبة: عبارة أخرى زائدة في المخطوطة دون المطبوعة: لا قادر على الاختراع أو لا خالق إلا الله.

الشيخ: الموجود في المطبوع كاف، وإن زيدت فهو حسن.

= إليه كلُّ ما عداه، ونحو ذلك.

فهذا حقٌّ، وهو من لوازمِ الإلهيةِ، ولكن ليس هو المرادَ بمعنى «لا إلهَ إلا اللهُ»(١). [٩٢]

[شرح٩٢] وما ذاك إلا لأن هذا معلوم لدى الجميع، حتى عباد الأوثان وغيرهم، فمعلوم لدى الجميع أن الله هو الخالق الرازق المدبر، الغني بذاته عن كل ما سواه، القادر على الاختراع، وهذا أمر معلوم، أقرَّته قريش وغيرهم.

وإنما الخلاف والنزاع بين الرسل والأمم أن يُخصَّ بالعبادة، أو أن يُدعَى معه سواه، ويُعبَد معه سواه، ويرجى سواه، ونحو ذلك، فهذا محل النزاع بين الرسل والأمم.

أما كونه قادراً خالقاً رازقاً مدبراً إلى غير ذلك فهذا معلوم لدى الجميع، ولهذا قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل:٣٦]، وما قال: أن اعترفوا بأن الله خالقكم ورازقكم، وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥]. =

---

(١) ص٤٨-٤٩.

.....

= فالنزاع بينهم في ألوهيته، في اختصاصه بها، دون ما سواه، فالرسل قالت: هو مختص بها، وأعداؤهم قالوا: لا، مشتركة بينه وبين غيره، على أنه يملكه وما ملك، على أنهم شركاء غير مستقلين، بل يملكهم الله، كما كانت تلبية قريش: «لَبَّيكَ لا شرِيكَ لكَ إلا شرِيكاً هو لكَ تملكُه وما مَلَك»[1].

فهم يقولون: هم مخلوقون؛ لكنهم شفعاء ووسائط، نعبدهم وندعوهم ونلجأ إليهم، لا لأنهم يدبِّرون العالم ويخلقون ويرزقون، ولكن لأنهم شفعاء ووسائط، وقد غلا بعض المتأخرين، وصار شرّاً من الكفار الأولين، حتى جعل لبعض المخلوقين تصرفاً في الكون وتدبيراً للأكوان، نسأل الله العافية.

(١) أخرجه مسلم: الحج (١١٨٥).

۞ فإن هذا القدَرَ قد عَرَفه الكفارُ، وأقرُّوا به، ولم يَدَّعوا في آلهتِهم شيئاً من ذلك، بل يُقرُّون بفقرهم، وحاجتِهم إلى الله، وإنما كانوا يَعبُدونهم على معنى أنهم وسائطُ وشفعاءُ عند الله في تحصيلِ المطالِبِ ونجاحِ المآرِبِ، وإلا فقد سَلَّمُوا الخلقَ والمُلكَ والرزقَ والإحياءَ والإماتةَ والأمرَ كلَّه لله وحدَه لا شريكَ له، وقد عَرَفوا معنى «لا إلهَ إلا اللهُ» وأبَوْا عن النُّطقِ والعملِ بها[1]. [٩٣]

[شرح٩٣] عرفوا عن بصيرة أن هذا الكلمة، وهي (لا إله إلا الله)، تبطل ما هم عليه من الباطل، وتجتثه من أصله، ولهذا قالوا لما أمرهم النبي ﷺ أن يقولوا: «لا إله إلا الله» قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ [ص:٥] عرفوا أنها تبطل آلهتهم، وأنها تقتضي إبطال العزى ومناة واللات وأشباه ذلك، وقالوا كما ذكره في الآية أخرى في سورة الصافات: ﴿أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ [الصافات:٣٦].

فهم عرفوا أن هذه الكلمة معناها إبطال ما هم عليه، ولم يعتقدوا أنها مجرد كلام فقط كما يظنه جهال اليوم من عباد =

(١) ص٤٩.

.....

= القبور، فيقولون: لا إله إلا الله، ويطوفون بالقبر، ويعبدونه من دون الله، فلا يعرفون ولا يدرون أن هذا من الشرك، وهذا من الجهل العظيم.

أما أولئك أبو جهل وأشباهه فعرفوا معناها، ولكنهم عاندوا، وكابروا، ولهذا أخبر ﷻ أنهم يعرفون صدق ما جاء به ـ عليه الصلاة والسلام ـ ولكنه الجحد والحسد ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام:٣٣].

فهذه حالهم ـ نعوذ بالله ـ مثل حال اليهود، وحال رؤساء الكفار وأذكيائهم، فيعرفون أن هذا حق، لكن حب باطلهم، وتقليد آبائهم، وتعظيم أسلافهم، والتكبر عن اتباع من جاءهم بالحق، حملهم على أن يحسدوا، وأن يستنكروا ما قاله، وأن يكابروا، ويغالطوا، حتى قالوا: شاعر، وقالوا: مجنون، وقالوا: ساحر، وقالوا: كاهن، وهم يعرفون أنهم كاذبون في هذا كله، بل يعرفون أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ هو الصادق الأمين، وكل هذا الذي يقولونه كذب، وباطل، وهم يعرفون أنه باطل، وأنه كذب، فهم =

.....

= يعرفون هذا، ولكنهم يلبسون على العامة والجهلة من أهل بلادهم، ومن القادرين عليهم، نسأل الله السلامة.

obeikandl.com

۞ فلم ينفعهم توحيدُ الربوبيةِ مع الشِّركِ في الإلـهيةِ، كما قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف:١٠٦][1]. [٩٤]

[شرح٩٤] لما تلا ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ هذه الآية ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ قال: تسألهم من خلق السماوات؟ فيقولون: الله، وهم مع هذا يعبدون غيره[2]، فإيمانهم إقرارهم بأن الله الخالق الرازق، وأنه خالق السماوات والأرض، وكفرهم تعلقهم على غيره في الدعاء والتوجه والضراعة والشفاعة وغير ذلك، والشرك إذا قارن الإيمان أبطله، فالضدان لا يجتمعان، بل نقيضان، لا يجتمعان ولا يرتفعان، فالإنسان إما مشرك وكافر، وإما مسلم، فلا يقال: مسلم كافر، ولا يقال: لا مسلم ولا كافر.

---

(١) ص٤٩.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٢٠٣٤).

۞ وعُبّادُ القبورِ نطقُوا بها، وجهلوا معناها، وأبَوْا عن الإتيانِ به، فصاروا كاليهودِ الذين يقولونها، ولا يعرفون معناها، ولا يعملون به[1]. [٩٥]

[شرح٩٥] قوله: «ولا يعرفون معناها ولا يعملون به» لا يستقيم، والصواب «ويعرفون معناها ولا يعملون به» فاليهود يعرفون معناها، ولكنهم لا يعملون به ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة:١٤٦]، والصواب حذف «لا»، فلا يصح التشبيه إلا إذا كانوا يعرفونها.

---

(١) ص٤٩.

obeikandl.com

۞ فتجد أحدَهم يقولها، وهو يَألَهُ غيرَ الله بالحبِّ والإجلالِ والتعظيمِ والخوفِ والرجاءِ والتوكُّلِ والدعاءِ عند الكَربِ.

ويَقصِدُه بأنواع العبادةِ الصادرةِ عن تَألُّهِ قلبِه لغيرِ الله مما هو أعظم مما يفعله المشركون الأولون.

ولهذا إذا تَوَجَّهَت على أحدِهم اليمينُ بالله تعالى أعطاكَ ما شئتَ من الأيمانِ صادقاً أو كاذباً، ولو قيل له احلف: بحياةِ الشيخِ فلان، أو بتربتِه ونحو ذلك، لم يحلف، إن كان كاذباً، وما ذاك إلا لأن المدفونَ في الترابِ أعظمُ في قلبِه من ربِّ الأربابِ[1]. [٩٦]

[شرح٩٦] وهذا الحَلِف بغير الله لا يجوز، لكن لو قيل له على سبيل التخويف والتهديد، فلا يجوز الحلف بغير الله، كما جاء به النص والإجماع عن النبي ﷺ: «مَن كان حالفاً فليَحلِف بالله أو لِيَصمُت»[2]، وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «من حَلَفَ بغيرِ الله =

---

(١) ص٤٩.

(٢) أخرجه البخاري: الشهادات (٢٦٧٩)، ومسلم: الأيمان (١٦٤٦).

.....

= فقد كَفَرَ أو أشرَك»[١]، وقال: «من حَلَف بالأَمانة فليس منّا»[٢]، وقال: «لا تَحلِفُوا بآبائِكم، ولا بأُمَّهاتِكُم، ولا بالأندادِ، ولا تَحلِفوا بالله إلا وأنتُم صادِقون»[٣].

فالذي يفعله بعض الناس الآن، وما يسمع في الإذاعة، أو في الصحافة، أو في كذا، أو في التلفاز، أو ما أشبه ذلك، كله باطل، فيحلف بعضهم بحياة فلان، أو بشرف فلان، أو بالأمانة، أو بالنبي؛ كما يقع على ألسنة كثير من الناس «بالنبي»، وكل هذا من الحَلِف بغير الله، ومن الشرك الذي حرمه الله.

وهو الشرك الأصغر بالجملة، وقد يكون الأكبر في بعض الأحيان، إذا صدر عن تعظيم للمخلوق مثل تعظيم الله، أو الاعتقاد بأن المخلوق يعلم الغيب أو كذا، فصار شركاً بالله أكبر، نسأل الله العافية. =

(١) أخرجه الترمذي: النذور والأيمان (١٥٣٥)، وأبو داود: الأيمان والنذور (٣٢٥١).

(٢) أخرجه أبو داود: الأيمان والنذور (٣٢٥٣).

(٣) أخرجه النسائي: الأيمان والنذور (٣٧٦٩)، وأبو داود: الأيمان والنذور (٣٢٤٨).

.....

= فالحاصل أن الحلف بغير الله منكر وشر وفساد، وهو من المحرمات الشركية، لكن لو قيل لهذا الشخص المعظم، كعباد البدوي، أو عباد الحسين، أو عباد عبد القادر: قل: بحياة البدوي، أو بحياة الحسين، أو بحياة عبد القادر: أنك ما فعلت كذا وكذا، وهو كاذب ـ فيمتنع، ولا يستطيع، وتصيبه رعدة، نسأل الله العافية؛ لأنه يخاف من عبد القادر، ويخاف من الحسين، ويخاف من البدوي، ويقول: إن عقوبة الشيخ الولي أعجل من عقوبة الله، هكذا سمعنا عنهم وبلغنا عنهم، نسأل الله العافية*.

---

* س: الحلف بالحي هل يعتبر كفراً؟

ج: لا، هو من الشرك الأصغر إلا إذا اقترن به تعظيم للمخلوق مثل عظيم الله، أو اعتقاد شيء بالمخلوق، فيصير كفراً، وإلا فالأصل أنه من المحرمات الشركية، ولهذا كان الصحابة يحلفون بآبائهم في المدنية، ثم نهاهم النبي ﷺ بعد ذلك.

س: يقرأ عن بعض الصحابة، وقد استدل به الذين يحلفون بغير الله يقولون: قد قال فلان: لعمري إن كذا وكذا، وقد قاله بعد موت النبي ﷺ؟

ج: «لعمري» ليست من ألفاظ الحلف بغير الله، على الصحيح، فهذه =

.....

= تأكيد لمقام، وليس من باب الحلف بغير الله، وقد قالها بعضهم مثل العباس وغيره، قال جمع من أهل العلم: إنها ليست من هذا الباب، فالحلف يكون بالواو والتاء وبالباء والهمزة، هذا المعروف من لغة العرب.

س: حديث: «أفلح وأبيه إن صدق»!

ج: هذا غير صحيح، وإن كان رواه مسلم[1]، فهو عند العلماء محرَّم وغلط، وعلى تقدير صحته كان قبل أن ينهى عن الحلف بغير الله، وقد اغتر به بعض الناس، ولكن الصواب في الجواب عنه: أن هذا كان قبل النهي، فصدر من النبي ﷺ قبل أن ينهى عن ذلك، حين كانوا يحلفون بآبائهم.

وقال آخرون: إن هذا جاء على لسانه من غير قصد، مثل: ثكلتك أمك، عقرى حلقى، تربت يداك، فما قصد ذلك، فالنبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ معصوم من الشرك، فقال ذلك وجرى على اللسان من غير قصد، وهو معصوم من الشرك، بخلاف غيره، فليس معصوماً، فلا يقر على ذلك.

س: كيف نفسر كلمة «فلعمري» أو «فلعمرك» إذا لم تكن من باب الحلف بغير الله؟

ج: تفسيرها كما ذكر بعض أهل العلم: حياتك قسمي، أو عمرك قسمي، فهي مبتدأ والخبر محذوف، لكنها ليست من باب القسم الممنوع، =

(١) مسلم: الإيمان (١١)(٩).

.....

= هذا الصحيح فيها.

س: موجود في «فتوح الشام» للواقدي عبارات متكررة: (وعيش عاش فيه رسول الله)[1]؟

ج: هذه غير ثابتة عن الواقدي، ولا يعتمد عليها، فهي غير معروفة المصدر، وهي مكذوبة على الواقدي، هذا هو المعروف عند المحققين، أنها مكذوبة على الواقدي، وليست من مؤلفاته، ثم لو قدر أنه كتب ذلك فهو ضعيف في الرواية عند العلماء، ولا يحتج به في الرواية.

(١) انظر «فتوح الشام» ١/ ١٣٠، ١٣٢، ١٧١، ٢/ ١٣، ط. دار الجيل-بيروت.

obeikandl.com

۞ وما كان الأوَّلُون هكذا، بل كانوا إذا أرادُوا التشديدَ في اليمين، حَلَفوا بالله تعالى، كما في قصةِ القَسَامة التي وَقَعَت في الجاهليةِ، وهي في صحيح البخاري»[1].[2] [٩٧]

[شرح٩٧] أظنه يريد قصة عبد الله بن عبد المطلب؛ لما حلف عبد المطلب بالله إن اكتمل له عشرة أولاد أن يذبح أحدهم، فلما جاء عبد الله صار العاشر، فأراد ذبح عبد الله، فتوجهت إليه قريش، وقالوا: لا، بل نفديه بمائة من الإبل، وجعلوا القسامة مائة على عبد الله، وأن يؤدوا الدية[3].

أو هي قصة وقعت لبعض العرب، فكانوا قد اتهموا بعض الناس بالقتل، فاتفق رأيهم على أن يقسم منهم خمسون بالله العظيم أنه ما قتل، وأنهم لا يعرفون من قتل، ويؤدون الدية عن ذلك، فأقرها الإسلام، وصار من يتهم بالقتل بقرائن واضحة يحكم عليه =

---

(١) البخاري: مناقب الأنصار (٣٨٤٥).

(٢) ص٥٠-٥١.

(٣) بل لعل المقصود ما ورد في «البخاري» باب القسامة في الجاهلية، الحديث (٣٨٤٥).

.....

= بالقسامة بالقتل أو الدية؛ كما قضى به النبي ﷺ في عبد الله بن سهل مع اليهود[١].

(١) أخرجه البخاري: الأدب (٦١٤٣، ٦١٤٢)، ومسلم: القسامة (١٦٦٩).

obeikandl.com

۞ وكثيرٌ منهم وأكثرُهم يَرَى أن الاستغاثةَ بإلهِه الذي يعبدُه عندَ قبرِه أو غيرِه أنفعُ وأنجحُ من الاستغاثةِ بالله في المسجدِ، ويُصرِّحون بذلك، والحكاياتُ عنهم بذلك فيها طُولٌ[1]. [٩٨]

[شرح٩٨] الصواب: فيها طول، وما في بعض الطبعات: (أطول) غلط، أي: فيها طول أن يذكرها.

وقد ألف بعضهم كتاباً سماه «مناسك حج المشاهد» في الحج إلى القبور بدلاً من الحج إلى الكعبة، فلهم في هذا أنواع من الغلو، نعوذ بالله*.

---

* س: من مؤلفه؟

ج: أظنه الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان. ذكره أبو العباس ابن تيمية[2].

س: بعض المشركين إذا دعا غير الله قد يستجاب له فيكون فتنته أكبر؟

ج: قد يصادف قدراً فيستجاب، وقد يكون مضطراً، كما قال أبو =

---

(١) ص٥٠-٥١.

(٢) انظر «مجموع الفتاوى» ١٧/ ٤٩٨.

.....

= العباس وغيره، فيستجاب له من أجل ضرورته لا من أجل صاحب القبر، وهذا من الفتن كما أنهم إذا دعوا العزى ومناة فقد تكلمهم الجن، وتقضي بعض حاجاتهم الممكنة، فيغترون بذلك.

لهذا قد يقع لأهل القبور فتن بسبب الجن، فقد تقضي حوائجهم، وقد تعمل لهم أعمالاً كثيرة، من إحضار نقود وأموال، ومن إحضار حيوانات، ومن إحضار أشياء، فتسرقها من الناس، أو مما عندها، وتأتيهم.

قد أخبرنا بعض علماء الهند: أن بعض المشركين طلب من إلهه الجني طيباً، فأحضر له طيباً بعد وقت، فلما نظر في الطيب فإذا طيب فلان واحد من تجار الهند فقده من دكانه.

فالمقصود أن الجن تعمل أشياء كثيرة، والشياطين تعمل لإغواء الناس وإضلالهم الشيء الكثير، وقصة العزى معروفة، لما قطع خالد الشجرة، وجاء إلى النبي ﷺ، وقال: إنه قطع الشجرة وأحرقها، فقال: «ما فعلت شيئاً، ارجع» فلما رجع، فإذا العزى جنية ناشرة شعرها تحثو التراب، تحمل التراب على رأسها، فأمها بالسيف حتى قتلها، ثم رجع إلى النبي ﷺ فأخبره فقال: « تلك العزى»[1].

فالمقصود أن الجن والشياطين تغوي أولياءها، وتضرهم، وتقضي =

(١) أخرجه النسائي في «الكبرى» (١١٤٨٣).

.....

= بعض حوائجهم، وتخاطبهم من أصنامهم، ويكون فيها الجن، فيتحركون حتى يتحرك الصنم، ويسمع منه صوت، نسأل الله العافية.

فإذا دعا عند قبر البدوي، أو عند قبر الحسين، أو عند قبر ابن عَلْوان، أو ما أشبه ذلك، واستجيب له، فليس معنى ذلك أن ابن عَلْوان قضى حاجته في ذلك، ولكنه صادف قدراً أن تقضى هذه الحاجة، أو تقضى لضرورة وقعت له، حين دعا الله عند القبر، وهو مضطر، فالله يقول: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل:٦٢].

ثم هم عبيده يرزقهم سبحانه، كافرهم ومسلمهم، ولولا حِلمُه ما أعطاهم شيئاً، وهم الآن في أنواع النعيم الدنيوي، وهم كفرة بالله، أعداء له، الشيوعيون والنصارى واليهود، إلى غير ذلك، قد حلم عنهم ﷻ، وأجلهم، ولم يعاجلهم بالعقوبات ﷻ فلا يغتر بهذا؛ كما قال ﷻ: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝٥٥ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [المؤمنون:٥٥-٥٦] نسأل الله العافية.

وأيضاً يقول سبحانه: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ [سبأ:٣٧] فالحاصل أن الكفرة قد يحصل لهم من الخيرات والأرزاق في الدنيا الشيء الكثير، وقد تجاب دعواتهم، وقد تقضى طلباتهم استدراجاً ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ۝٤٤ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾ [القلم:٤٤-٤٥].

۞ وهذا أمرٌ ما بلغ إليه شِركُ الأولينَ، وكلُّهم إذا أصابتهم الشدائدُ أخلَصُوا للمدفونين في الترابِ، وهَتفُوا بأسمائِهم، ودعَوهُم، ليكشفوا ضُرَّ المصابِ في البَرِّ والبحرِ، والسفرِ والإياب، وهذا أمرٌ ما فعلَه الأولون، بل هم في هذه الحالِ يخلصون للكبيرِ المتعالِ.

فاقرأ قولَه تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ الآية [العنكبوت:٦٥]، وقوله: ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [النحل:٥٣-٥٤].

وكثيرٌ منهم قد عطَّلوا المساجدَ، وعَمَرُوا القبورَ والمشاهدَ، فإذا قَصَدَ أحدُهم القبرَ الذي يعظِّمُه أخذَ في دعاءِ صاحبِه باكياً خاشعاً ذليلاً خاضعاً بحيث لا يحصُل له ذلك في الجمعة والجماعات، وقيامِ الليلِ وأدبارِ الصلوات، فيسألونهم مغفرةَ الذنوبِ، وتفريجَ الكروبِ، والنجاةَ من =

= النار، وأن يحطُّوا عنهم الأوزارَ، فكيف يظنُّ عاقلٌ ـ فضلاً عن عالم ـ أن التلفظ بـ«لا إلهَ إلا اللهُ» مع هذه الأمورِ تنفعُهم[1].

وهم إنما قالوها بألسنتِهم، وخالفوها باعتقادِهم وأعمالِهم، ولا ريبَ أنه لو قالَها أحدٌ من المشركين، ونَطَق أيضاً بشهادةِ أن محمداً رسولُ الله، ولم يعرف معنَى الإلهِ، ولا معنى الرسولِ، وصَلَّى وصامَ وحجَّ، ولا يدري ما ذلك، إلا أنه رأَى الناسَ يفعلونَه فتابعَهم، ولم يفعل شيئاً من الشِّركِ، فإنه لا يشكُّ أحدٌ في عدمِ إسلامِه.

وقد أفتى بذلك فقهاءُ المغربِ كلُّهم في أولِ القرنِ الحادي عشر أو قبله، في شخصٍ كان كذلك؛ كما ذكره صاحب «الدّرّ الثمين في شرحِ المرشدِ المعين» من المالكية، ثم قال شارحه: وهذا الذي أفتَوْا به جَليٌّ في غايةِ الجلاءِ، لا يمكن أن يختلفَ فيه اثنانِ، انتهى. =

(١) قال سماحة الشيخ: (تنفعهم) بالتاء، من باب تأنيث المضاف للمضاف إليه:

وربما أكسبَ ثانٍ أوَّلا تأنيثاً انْ كان لحذفٍ مُوهِلا

= ولا ريبَ أن عُبّادَ القبورِ أشدُّ من هذا؛ لأنهم اعتقدوا الإلهيةَ في أربابٍ متفرِّقين.

فإن قيل: قد تبيَّنَ معنى الإلهِ والإلهيةِ، فما الجوابُ عن قول من قال بأن معنى الإلهِ القادرُ على الاختراعِ، ونحو هذه العبارة؟

قيل: الجواب من وجهين:

أحدهما: أن هذا قولٌ مبتدَعٌ لا يُعرَف أحدٌ قاله من العلماء، ولا من أئمةِ اللُّغةِ، وكلامُ العلماءِ وأئمةِ اللغةِ هو معنى ما ذكَرنا كما تقدَّم، فيكون هذا القولُ باطلاً[1]. [٩٩]

[شرح٩٩] باطلاً؛ لأنه مخالف لكلام أئمة اللغة، وكلام الله وكلام رسوله يُفَسَّر بلغة العرب المعروفة، أو بما جاء به النبي إن كان فيه نص، أما أن يفسر بكلام المتأخرين، وأصحاب الكلام الذي أخذوه عن أفلاطون، وعن أرسطو، وعن غيرهم من الفلاسفة، فلا يلتفت إلى هذا ، فكلام الله وكلام رسوله يُفسَّران بما نزلا به من =

(١) ص٥٠.

.....

= لسان العرب وكلام العرب، إلا إذا وجد في النص تفسير، أو كان النص نفسه من كتاب الله أو سنة رسوله استغني به عن كل شيء.

ولكن إذا لم يكن هناك تفسير من الله ولا من رسوله، فإنه يرجع إلى اللسان الذي نزل به القرآن وجاءت به السنة، وأما تفسير كلمة من كلام الله أو كلمة من كلام رسوله ﷺ، مما أحدثه الناس واخترعه الناس فلا.

obeikandl.com

۞ **الثاني**: على تقديرِ تسليمِه، فهو تفسيرٌ باللازم للإلهِ الحقِّ، فإن اللازمَ له أن يكونَ خالقاً قادراً على الاختراع، ومتى لم يكن كذلك، فليس بإلهٍ حقٍ، وإن سُمِّيَ إلهاً، وليس مرادُه أن من عَرَف أن الإلهَ هو القادرُ على الاختراع فقد دخلَ في الإسلامِ، وأتى بتحقيقِ المَرامِ من مفتاح دارِ السلامِ[1]. [١٠٠]

[شرح١٠٠] فعلى القول الثاني إذا قلنا: إن تصحيفه من باب أنه صحيح، أو من باب تفسير الكلام الذي أتى به لا بحقيقته التي وضع لها، وجماعة من أهل العلم يقولون: إن دلالة (لا إله إلا الله) على توحيد الربوبية والأسماء والصفات فلا تَضَمُّن، في ضمن هذه الكلمة بيان ذلك.

وأما دلالة توحيد الربوبية على الإلهية فهو من باب الاستلزام، وأن إقرار العبد بأن الله خالق يستلزم أن يعترف بأنه المستحق للعبادة، ولهذا احتج الله عليهم بتوحيد الربوبية على ما أنكروا من توحيد الإلهية؛ لأن لازم ما أقروا به أن يقروا بتوحيد الألوهية، وأن =

---

(١) ص٥٠-٥١.

.....

= يعترفوا بأن الله مستحق العبادة ما دام هو الخالق وهو الرازق وهو الكامل، فكيف يعبد غيره ما دام بهذه الصفة!! فهو يستحق أن يعبد دون ما سواه، وهذا من لازم إقرارهم.

فتوحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات، يستلزمان إثبات العبادة لله وحده ويقتضيان ذلك، أما كون توحيد العبادة يقتضي توحيد الربوبية والأسماء والصفات، فهذا من باب الظلم، ومن باب التضمّن، وإذا عبر من باب اللازم فله وجه، ولكن كونه يتضمن ذلك وفي ضمن ذلك فهذا أوضح وأظهر؛ يعني: أن في إقرار العبد بأن الله هو الإله الحق في ضمن ذلك اعترافه بأنه رب العالمين، وأنه هو الخلاق وأنه الرزاق ونحو ذلك.

فالألوهية من لوازمها ذلك ومن ضمنها ذلك، إذ كيف يكون إلها من لا يخلق ولا يرزق، ولا يدبر ولا يتصرف، ولا يسمع ولا يعلم إلى غير ذلك؟! كيف يكون إلهاً وهو لا يعلم أحوال عباده، ولا يسمع دعاءهم، ولا يقدر على إعطائهم مطالبهم؟!

فعلم في ذلك أن في الإقرار بتوحيد الألوهية في ضمن ذلك =

.....

= الإيمان بأنه رب العالمين، وأنه الخلاق العليم، وأنه هو السميع البصير إلى غير ذلك، أما دلالته على توحيد العبادة وترك الشرك، فهو من باب المطابقة، فالدلالة في هذه الثلاثة مطابقة وتضمناً واستلزاماً، فدلالة (لا إله إلا الله) على توحيد العبادة، وعلى نفي الشرك وإبطاله من باب المطابقة، فقد وضعت في هذا مطابقة، فلا إله لنفي الشرك، وإلا الله لإثبات العبادة لله وحده.

أما دلالة (لا إله إلا الله) على توحيد الربوبية والأسماء والصفات، فهو من باب التضمن، فدلالته على أنه ﷻ موصوف بالأسماء الحسنى والصفات العلى تضمن لذلك، إذ لا يكون إلهاً يستحق العبادة، ويستحق أن يدعى ويطلب، إلا من كان بهذه المثابة، إذا كان خالقاً رازقاً مدبراً سميعاً بصيراً عالماً بأحوال العباد لا تخفى عليه خافية، وإلا فلا يستحق العبادة.

وبهذا يعلم أن في دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام لإخلاص العبادة لله وحده دعوة للجميع، ودعوة الرسل إلى إخلاص العبادة لله وحده دعوة إلى الإيمان بأنه الخلاق، وبأنه الرزاق، وبأنه الموصوف بالأسماء الحسنى والصفات العلى، فهي =

.....

= دعوة إلى أنواع التوحيد الثلاثة فهي بالمعنى، فالذي قال: إنه لا قادر إلا الله، ولا خالق إلا الله، فإنما أقر بما أقر به المشركون، وهو يلزمهم من هذا الإقرار أن يوحدوا الله وأن يعبدوه، لكن ليس هذا الإقرار هو المقصود وإنما هو حجة عليهم.

والمقصود من (لا إله إلا الله) أن يوحدوا الله وأن يعبدوه، وليس المقصود منها أن يقروا بأنه الخلاق الرزاق، فهذا قد أقروا به، فلو كان هذا المقصود ما احتيج إلى دعوة الرسل في هذا الشيء، ولما جاءت الرسل بالدعوة إلى (لا إله إلا الله) علم أن مقصودها غير ما أقروا به من توحيد الربوبية ومن الأسماء والصفات.

obeikandl.com

۞ فإنَّ هذا لا يقولُه أحدٌ؛ لأنه يستلزمُ أن يكونَ كُفّارُ العربِ مسلمينَ، ولو قُدِّرَ أن بعضَ المتأخرينَ أرادوا ذلك فهو مخطِئٌ، يُرَدُّ عليه بالدلائلِ السمعيةِ والعقليةِ.

قوله: (وأن محمداً عبدُه ورسولُه)[1] أي: وشهدَ بذلك، وهو معطوفٌ على ما قبله، فتكون الشهادةُ واقعةً على هذه الجملةِ وما قبلَها وما بعدَها، فإن العاملَ في المعطوفِ وما عُطِفَ عليه واحدٌ.

ومعنى «العبد» هنا يعني: المملوكَ العابدَ؛ أي: مملوكٌ لله تعالى، وليس له من الربوبيةِ والإلهيةِ شيءٌ، إنما هو عبدٌ مُقَرَّبٌ عندَ الله ورسولِه، أرسلَه الله، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ =

(١) انظر حديث عبادة بن الصامت، سلف في الفقرة [٧٦]، ص ١٨٠.

= ﴿أَبَدًا ﴿٢٣﴾﴾ الآيات [الجن].

قيل: وقدَّم العبدَ هنا على الرسولِ تَرَقِّياً من الأدنَى إلى الأعلَى، وجَمَعَ بينهما لدفعِ الإفراطِ والتفريطِ الذي وقعَ في شأن عيسى عليه السلام، وقد أكَّدَ النبيُّ ﷺ هذا المعنى بقوله: «لا تُطْرُوني كما أَطْرَتِ النَّصارَى ابنَ مريمَ، إنما أنا عبدٌ، فقولوا: عبدُ الله ورسولُه»[1].

وذلك يتضمَّن تصديقَه فيما أخبرَ، وطاعتَه فيما أمرَ، والانتهاءَ عما عنه زَجَرَ، فلا يكون كاملَ الشهادةِ له بالرسالة مَن تَرَكَ أمرَه، وأطاعَ غيرَه، وارتكبَ نهيَه[2]. [١٠١]

[شرح١٠١] يعني: كونه رسولاً يتضمن تصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، واجتناب ما نهى عليه الصلاة والسلام.

ورد فيما تقدم رد على الإفراط والتفريط الواقع في حق عيسى*.

---

* س (من الشيخ): يا خالد، ماذا يعني الإفراط والتفريط الواقعين في =

---

(١) أخرجه البخاري: أحاديث الأنبياء (٣٤٤٥).

(٢) ص٥١.

.....

= حق عيسى؟

ج: الإفراط في شأن اليهود الذين نبذوا عيسى.

الشيخ: أهذا يسمى إفراطا أم تفريطاً؟

ج: هذا تفريط.

الشيخ: تفريط، يعني جفاء؟

ج: والإفراط في شأن النصارى الذين جعلوه إلهاً وجعلوه ابن الله.

الشيخ: يعني: غلوا فيه، فالإفراط هو الغلو الذي جاء في شأن النصارى، والتفريط أو الجفاء هو التقصير الذي ينطبق على عمل اليهود.

ج: الإفراط هو الغلو الذي حصل من النصارى، والتفريط حصل أيضاً من اليهود رموه بأنه ابن زانية.

الشيخ: هذا تفريط، والجفاء في الحق، وقع ذلك في حق الرسول محمد ﷺ، إفراط وتفريط أيضاً، من عبده فقد أفرط، ومن عطل شريعته فقد جفا وفرط.

obeikandl.com

۞ قوله: (وأن عيسى عبدُ الله ورسولُه)، وفي رواية: (وابنُ أَمَتِهِ)[1] أي: خلافاً لما يعتقدُه النَّصارَى أنَّه اللهُ أو ابنُ الله، تعالى اللهُ عن ذلك علواً كبيراً ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [المؤمنون].

فيشهد بأنه عبدُ الله؛ أي: عابدٌ مملوكٌ، لا مالكٌ، فليس له من الربوبيةِ، ولا من الإلهيةِ شيءٌ، ورسولٌ صادقٌ؛ خلافاً لقول اليهودِ: إنه ولدُ بَغيٍّ، بل يُقال فيه ما قال عن نفسِه؛ كما قال تعالى: ﴿قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ =

---

(١) أخرجه مسلم: الإيمان (٢٨).

= يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ [مريم][1]. [١٠٢]

[شرح١٠٢] كلتاهما ضلَّتا اليهود والنصارى، كلتاهما ضل في هذا الباب ـ نعوذ بالله ـ فاليهود ضلوا حتى نفوا أنه رسول الله، ونفوا أنه ابن أمة الله، وجعلوه ولد بغي ـ نعوذ بالله ـ قاتلهم ولعنهم، والنصارى كذلك أيضاً ضلوا في هذا السبيل ـ نعوذ بالله ـ فغلوا فيه وعبدوه مع الله ﷻ، وجعلوه ابن الله، أو ثالث ثلاثة على اختلافهم، أو الله فهؤلاء ضلوا وهؤلاء ضلوا، نسأل الله العافية.

(١) ص٥١.

۞ وقال تعالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء:١٧٢][1]. [١٠٣]

۞ قال القرطبيُّ: ويُستفادُ منه ما يُلقَّنُه النصرانيُّ إذا أسلمَ[2]. [١٠٤]

[شرح١٠٣] والمعنى: لا بد من البراءة من هؤلاء وهؤلاء، فلا بد من البراءة من عقيدة اليهود، ولا بد من البراءة من عقيدة النصارى، والإيمان بما قاله الله ورسوله بأنه عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه.

[شرح١٠٤] وقد بيَّن لهم هذا أنه عبد الله ورسوله حتى ينجوا من رأيهم السابق من أنه ابن الله، ومنهم من قال: ثالث ثلاثة، ومنهم من قال: عبد الله ورسوله وابن أَمته، فيبين له حتى يزول ما كان يعتقده سابقاً.

---

(١) ص٥١-٥٢.

(٢) ص٥٢.

obeikandl.com

۞ قوله: (وكلمته)[١] إنما سُمِّيَ ـ عليه السلام ـ كلمةَ الله؛ لصدورِه بكلمة «كُنْ» بلا أَبٍ، قاله قتادةُ وغيرُه مِن السلفِ[٢]. [١٠٥]

[شرح١٠٥] يعني: أن الله جل وعلا خلقه بقول الله: «كن»، فسمي بكلمة الله، لأنه خلق بكلمة، وليس هو نفسه كلمة كما تقول الجهمية وأشباههم، بل هو كان بها وصار بها، وخلق بها ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس:٨٢] سبحانه وتعالى*.

---

* س: **أحسن الله إليكم، بمناسبة ذكر الجهمية، الإمام ابن حزم صاحب «المحلى» ما عقيدته؟**

ج: والله ذكروا له أشياء فيما تتعلق بالصفات ليست جيدة، فكلامه في الصفات ليس بالجيد، قد دخل عليه من الفلسفة أشياء كثيرة.

س: يعني هو لا يقلد فيما كتبه؟

ج: هو من العجائب؛ جمد في الأحكام، وتأول في الصفات، المقام =

---

(١) انظر حديث عبادة بن الصامت، سلف في الفقرة [٧٥].

(٢) ص٥٢.

.....

= الذي يطلب فيه عدم التأويل غلط فيه، والمقام الذي ينبغي فيه النظر والتعليل، وفيه قياس الأشياء بنظائرها وأشباهها جمد فيه. سبحان الله.

الفائدة العظيمة في كتب ابن حزم، العناية بالأدلة، ونقل الأدلة، ونقل كلام أهل العلم، والحرص على هذه الأشياء، وعدم الميل إلى الآراء، فهذه فائدة كبيرة لطالب العلم، يستفيد من ذلك ما ينقله من الأحاديث والآثار، ويعتني بهذه الأشياء؛ ليستفاد من ذلك في تأييد الأدلة وفي تأييد الحق.

وهذا هو المقصود من كتاب «المحلى» وأشباهه الذي يعتني بنقل الأحاديث وتطبيقها وعزوها وتعليلها، ونقل كلام السلف والآثار، سواء كان موافقاً أو مخالفاً لها، ويستفاد من ذلك، ولهذا ينقل عن العز بن عبد السلام أنه لما طلب للقضاء، امتنع حتى يحصل عنده كتابان: كتاب «المغني» للموفق وكتاب «المحلى» لابن حزم؛ ليستعين بذلك على القضاء من أجل الأدلة.

س: أحسن الله إليك، بمناسبة ما ذكرتم عن الإمام ابن حزم وموقفه من التقليد، ما هو حكم التقليد هل هو جائز مطلقاً أو لا يجوز مطلقاً أو فيه تفصيل؟

ج: هو بعد هذا البحث من أراده فعليه بكتاب ابن القيم، قسمه ـ رحمه الله ـ إلى أقسام ثلاثة: تقليد جائز، وتقليد محرم، وتقليد محل اجتهاد، في =

.....

= ثلاثة أقسام، وقد بسطه ابن القيم في «إعلام الموقعين» واعتنى به، وذكر كلام السلف في هذا الباب، وأدلة كلامهم جميعاً، فالأصل في التقليد المنع، هذا الأصل. وقد يجوز بالنسبة إلى العامة أن ينقلوا كلام أهل العلم، وأن يقلدوا أهل العلم ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٤٣] فإذا قال العالم: إن الله أمر بكذا أو نهى عن كذا، وجب عليه الامتثال، لأنه ليس من أهل الاجتهاد حتى ينقب عن الأدلة ويناقش الأدلة. **هذا القسم الأول.**

والقسم الثاني: إنسان عنده علم وبصيرة ولكن ضاقت به الأوقات، ولا استطاعة له أن يأتي بالأدلة، فله عند التطبيق أن يقلد من يراه أقرب إلى الحق، وأقرب إلى الخير عند ضيق الأدلة وضيق الأوقات، في الحوادث التي تحدث.

والقسم الثالث: يتمكن من الاجتهاد، ويستطيع الاجتهاد، فهذا يلزمه الاجتهاد، فهذا هو الأصل.

۞ قال الإمامُ أحمدُ؛ فيما أملاه في «الرد على الجهمية»: الكلمةُ التي ألقاها إلى مريمَ حين قال له: «كُنْ»، فكان عيسى بـ«كُنْ»، وليس عيسى هو «كُنْ»، ولكن بـ«كُنْ» كان، فـ«كُن» من الله قولٌ، وليس «كُن» مخلوقاً، وكَذَبَ النصارى والجهميةُ على الله في أمرِ عيسى، وذلك أن الجهميةَ قالت: عيسى رُوحُ الله وكلمتُه، إلا أن الكلمةَ مخلوقةٌ، وقالت النصارَى: عيسى رُوحُ الله مِن ذاتِ الله، وكلمةُ الله مِن ذاتِ الله[1]. [١٠٦]

[شرح١٠٦] يعني: جعلوه النصارى بعضاً لله، فضلوا في هذا السبيل، ما جعلوه مخلوقاً، والنصارى قالوا: مخلوق، ولكن الدليل على أن كلام الله مخلوق يحتجوا به على أنه كلام الله.

---

(١) ص٥٢.

۞ كما يُقال: إن هذه الخرقةَ من هذا الثوبِ، وقلنا نحن: إن عيسى بالكلمةِ كان، وليس عيسى هو الكلمةُ، انتهى؛ يعني به ما قال قتادةُ وغيرُه.

قوله: (ألقاها إلى مريمَ)[1] قال ابنُ كثيرٍ: خلَقَه بالكلمةِ التي أَرسلَ بها جبرائيلَ ـ عليه السلام ـ إلى مريمَ، فنفخ فيها مِن رُوحِه بإذنِ ربِّه ﷻ، فكان عيسى بإذنِ الله ﷻ.

وصارت تلك النفخةُ التي نفخَها في جيبِ دِرعِها، فنزلت حتى وَلَجَت فَرْجَها بمنزلة لِقاح الأبِ الأمَّ، والجميعُ مخلوقٌ لله ﷻ، ولهذا قِيل لعيسى: إنه كلمةُ الله ورُوحٌ منه؛ لأنه لم يكن له أبٌ تَوَلَّد منه، وإنما هو ناشِئٌ عن الكلمةِ التي قال له: «كُن» فكان، والرُّوحُ التي أَرسلَ بها جبرائيلَ عليه السلام[2]. [١٠٧]

[شرح١٠٧] كما قال الله ﷻ: ﴿وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا =

(١) انظر حديث عبادة بن الصامت، سلف في الفقرة [٧٥].

(٢) ص٥٢.

.....

= ﴿فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء:٩١]*.

* س: في قول ابن كثير (من روحه) هذا الضمير يرجع إلى مَن؟

ج: جبرائيل، ويجوز أن يرجع إلى الله كما في النصوص الأخرى (روح الله، وروح منه) لكن في هذا السياق (من روحه) أي: من روح جبرائيل، ويجوز من روح الله على مقتضى الآيات، ويكون من باب إضافة المخلوق إلى خالقه، وهي إضافة للتشريف والتكريم مثل ما يقال: ناقة الله ورسول الله فهي إضافة تشريف وتكريم، وروح الله يعني: عيسى، وروح الله يعني: مخلوق مضاف إلى الله جل وعلا إضافة تشريف وتكريم؛ يعني: روحاً من جملة الأرواح التي خلقها وأوجدها وشرفها وعظمها ﷻ، فيقال في الخمس: مال الله، وفي الكعبة: بيت الله، وناقة صالح: ناقة الله، فهذا من باب إضافة تشريف، من إضافة المخلوق إلى خالقه.

س: (من) و(في) هل بينهما فرق؟ معنا في النسخة الجديدة: فنفخ فيها في روحه، وفي الطبعة الأولى: فنفخ فيها من روحه؟

ج: في الكل (من)، و(في) لا تصلح هنا.

۞ قولُه: (ورُوحٌ منه) قال أُبيُّ بنُ كعبٍ: عيسى رُوحٌ من الأرواحِ التي خَلقَها اللهُ ﷻ واستَنطَقَها بقوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف:١٧٢] بَعثَه اللهُ إلى مريمَ، فدَخَل [في] فيها [(١)].

رواه عبدُ بن حُميد، وعبدُ الله بن أحمدَ في زوائد «المسند»، وابنُ جَرِير، وابنُ أبي حاتم، وغيرُهم.

وقال أبو رَوْق: (وروحٌ منه) أي: نفخةٌ منه؛ إذ هي من جبرائيلَ بأمرِه. وسُمي روحاً؛ لأنه حَدَث من نفخة جبرائيل عليه السلام [(٢)].

وقال الإمام أحمد: (وروحٌ منه) يقول: من أَمرِه كان الروحُ فيه، كقوله: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ=

(١) الأثر في «مسند أحمد» (٥/ ١٣٥) من زوائد عبد الله بن أحمد، وأخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠٨٥٩)، وما بين الحاصرتين زيادة منه، وفي «مسند أحمد»: دخل من فيها.

(٢) ذكر ذلك الطبري في «تفسيره» (٤/ ٣٧٤) وفيه: وقال بعضهم، ولم يعزه لأبي روق.

= جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ [الجاثية:١٣] يقول: من أمره[١].[٢] [١٠٨]

[شرح١٠٨] قوله: (وروح منه) هذا في نص القرآن: ﴿ وَٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا ﴾ آية الأنبياء [الأنبياء: ٩١].

وفي آية التحريم: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ [التحريم:١٢]، فهناك فرق بنص القرآن*.

---

* س: ما حكم التقارب بين الأديان، لأنه فيه دعوة مطروحة الآن للتقارب بين الأديان؟

ج: هذه دعوة فاسدة، ليس هناك تقارباً، فهي دعوة فاسدة، إلا إذا كان المراد بالتقريب بينها دعوة أهلها لينصفوا ما جاء به الرسول ﷺ ويتأملوه، وأنه لا يخالف ما جاءت به الأنبياء الذين ينتسبون إليهم، كالنصارى إلى عيسى، واليهود إلى موسى، وأنه لا يخالف ذلك لو أنصفوا، يعني: التقارب، يدعون إلى أن ينصفوا حتى يقروا بما جاء به الحق الذي هو موجود عندهم في التوراة والإنجيل. =

---

(١) ذكر ذلك الإمام أحمد في كتاب «الرد على الزنادقة والجهمية» (ص٣٢).

(٢) ص٥٢.

.....

= س: ما نظنهم يدعون إلى ذلك؟

ج: أما أن تجتمع أهل الأديان وأن تكون فئة واحدة، وأن هذا وهذا وهذا كلهم في دين الحق، فهذا من أبطل الباطل، وأضل الضلال، وأكفر الكفر، فلا يمكن للنصارى واليهود أن يكونوا على حق وعلى هدى وهم لا يقرون بمحمد عليه الصلاة والسلام، ولا ينقادون لما جاء به أبداً، وهذا بإجماع أهل الحق، وليس في هذا نزاع والنصوص قائمة بهذا، فكل من كذب بمحمد ﷺ، ولا يقر بأنه رسول الله إلى الجميع فهو كافر، ولو كان على دين موسى وعيسى ولم يؤيد شيئاً من ذلك.

ولكن جحده لمحمد كفر مستقل. كيف وقد كفر قبل ذلكم؛ كفرت اليهود باتخاذها العزير ابن الله وتكذيبها عيسى، وكفرت النصارى بما حرفوا وغيروا وبدلوا وزعموا أن عيسى ابن الله، وأنه ثالث ثلاثة، وأنه الله، هذا كفر مستقل. ثم جاء كفر آخر وهو عدم إيمانهم بمحمد عليه الصلاة والسلام، فاجتمع عندهم أنواع من الكفر ـ نعوذ بالله ـ فكيف يقرب بين هذا وهذا في التوحيد بين الأديان؟! كيف يقرب بين الكفر والإسلام؟! لا يمكن.

ومثل هذا أيضاً: التقريب بين الشيعة وبين وأهل السنة، فلا يمكن، لا يمكن إلا برجوع الشيعة عما هم عليه من الباطل، والأخذ بما قاله أهل السنة، أما أن يبقى الشيعة على حالهم والسنة على حالهم، فكيف يحصل =

.....

= التقريب؟! فهذه دعوة فاسدة خبيثة نسأل الله العافية.

س: بعض المشايخ الذين زاروا البابا نشر لهم كتب خاصة؟

ج: هذا في بيان الدعوة إلى الإسلام والرجوع إلى الحق، إذا أرادوا بهذا دعوة المسيحيين إلى الرجوع إلى الحق والدخول في الإسلام، أما أنهم على دينهم، والدينان متقاربان، وأنه يجوز البقاء على هذا وعلى هذا، فلا يمكن، لا يمكن أن يقوله المشايخ الذين ذهبوا، لأنه قد يخطئ الإنسان في الفهم، أو قد يغلط بعض الناس في العبارة فيظن أنه أراد ذلك.

س: إذا كان أحد يناظرهم في الكنيسة وقال: يا قداسة البابا، فهل يجوز هذا شرعاً؟

ج: هذه العبارة غير طيبة، لكن لا يكون قد ارتد عن الإسلام، والنبي ﷺ قال في عبد الله بن أُبي ابنُ سَلُولَ: «أما سمعت ما قال أبو حُباب»[1]، فدعاه باسمه، والمقصود أنه قد يكون الكلام في هذا من باب التلطف، لكن لا يعبر لفظ القداسة بفلان أو فلان باسمه أو لقبه ما فيه تعظيم، والقداسة ما ينبغي التلفظ بها بما يظهر لي، لكن قد يكون منوطاً بها، فصارت كالعلم عليه من غير أن يقصد معناها، فالأعلام والألقاب قد تراد من غير قصد المعنى مثل: صالح وعامر وليس هو بعامر ولا صالح، فهي أسماء جامدة، =

(١) أخرجه البخاري: التفسير (٤٥٦٦)، ومسلم: الجهاد والسير (١٧٩٨).

.....

= كذلك أبو تراب، وليس المقصود التراب، فصار علماً عليه، وكان من التراب الذي علق ببدن عليّ ﷺ[1].

فالمقصود أن الأعلام والألقاب قد تكون غير مراد فيها المعنى، إنما أريد أنها لقب وأسماء جامدة وليس المراد معناها، مثل ما يسمى بعض الناس الآن الصديق، فلان الصديق أو محمد الصديق، أو محمد الكامل، وهو ليس بكامل ولا صديق فهو يدعى باسمه.

س: هذه الأعلام، أما هذه فإنما أرادوا بها الصفة؟

ج: وهذا علم عليه، (قداسة البابا) علم عليه؛ يعني: سموا بها، مثل (سماحة الشيخ) و(فضيلة الشيخ) و(شيخ الإسلام) صارت علماً، جعلها من سماه بها علماً عليه يعرفون بها، هكذا قداسة الأب الذي يظهر منها أنها من هذا الباب، من باب الأعلام لا من باب تقديسه وتنزيهه، وإن أرادوا هم ذلك، لكن صارت علماً عليه يعرف بها، فإذا تكلم من تكلم من أهل العلم فليس المراد بها تنزيهه وتقديسه، إنما المراد دعوته باسمه الذي عرف به.

ومهما أمكن حمل كلام المسلم والعالم الشرعي على خير المحامل فهو أولى من حمله على أسوأ المحامل.

---

(١) انظر البخاري: الصلاة (٤٤١).

۞ وقال شيخُ الإسلام: المضافُ إلى الله تعالى إذا كان معنًى لا يقومُ بنفسِه ولا بغيرِه من المخلوقاتِ وَجَبَ أن يكونَ صفةً لله تعالى قائمةً به، وامتنع أن تكونَ إضافتُه إضافةَ مخلوقٍ مَربوبٍ، وإن كان المضافُ عيناً قائمةً بنفسِها، كعيسى وجبرائيل عليهما السلام وأرواحِ بني آدم، امتنعَ أن تكون صفةً لله تعالى؛ لأن ما قامَ بنفسِه لا يكونُ صفةً لغيرِه، لكنِ الأعيانُ المضافةُ إلى الله تعالى على وجهين:

أحدهما: أن تكونَ تُضافُ إليه لكونِه خلقَها وأبدعَها، فهذا شاملٌ لجميع المخلوقاتِ، كقولهم: سماءُ الله، وأرضُ الله، ومن هذا البابِ، فجميعُ المخلوقين عَبِيدُ الله، وجميعُ المالِ مالُ الله، وجميعُ البيوتِ والنوقِ لله[1]. [١٠٩]

[شرح١٠٩] أي: لا يخص بيت الله وناقة الله التي هي ناقة صالح، بهذا المعنى يعم كل بيت وكل ناقة، بخلاف ما يكون للتشريف والتعظيم فهذا يخص بيت الله ويخص ناقة الله وأشباههما.

---

(١) ص٥٢-٥٣.

❁ **الوجه الثاني**: أن يضافَ إليه لما خصَّه به من معنًى يحبُّه ويأمرُ به ويرضاه، كما خصَّ البيتَ العتيقَ بعبادةٍ فيه لا تكون في غيرِه، وكما يقال عن مالِ الفيء والخُمسِ: هو مالُ الله ورسولِه، ومن هذا الوجه فعِبادُ الله هم الذين عبدوه وأطاعوا أمرَه، فهذه إضافةٌ تتضمَّنُ ألوهيتَه وشرعَه ودينَه، وتلك إضافةٌ تتضمَّنُ ربوبيتَه وخلقَه، انتهى ملخصاً[1].[2] [١١٠]

[شرح١١٠] هذا كلام عظيم وله فائدة كبيرة، وقد قاله أهل العلم ممن قبله وبعده، ولكنه أتى به بعبارات واضحة مختصرة، وقد نص أهل العلم قديماً وحديثاً على هذا المعنى وأن المضاف إلى الله قسمان:

القسم الأول: معنًى من المعاني لا يقوم بنفسه ولا يقوم بغيره من المخلوقين، فهذا إذا أضيف إلى الله فهو صفة للموصوف كعلم الله وكلام الله: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٦] صفة من الصفات فكلامه صفة من صفاته، فهو ليس مخلوقاً، وهكذا علم الله، وقدرة الله، ورضا الله، وغضب الله وما أشبه ذلك، وإرادة الله، =

---

(١) انظر «درء تعارض العقل والنقل» لابن تيمية (٤/ ٩).

(٢) ص٥٣.

.....

= ومشيئة الله، كلها صفات من صفاته؛ لأنها معانٍ لا تقوم بغيره، بل هي تقوم به ﷻ، وهي غير مستقلة بنفسها، وإضافتها إلى الله ﷻ من باب إضافة الصفة إلى الموصوف وهذا شيء واضح.

وفيه الرد على الجهمية والمعتزلة وغيرهم من المؤولين لصفات الله والزاعمين لها أنها من باب إضافة صفة المخلوق إلى الخالق، وهذا من أبطل الباطل، فإن معنى ذلك سلب الرب صفاته، وجعله ذاتاً مجردة، والذات المجردة لا وجود لها.

فكلام الجهمية والمعتزلة يفضي إلى تعطيل الخالق وإنكار وجوده كما هو معلوم، فلعلك قد عرفت بذلك أن الصفات التي تضاف إلى الله هي صفات تضاف إلى موصوفها القائمة به ﷻ، كما سمعت من كلام الله، ورضا الله، وعلم الله، وقدرة الله، ومشيئة الله ونحو ذلك، ونفس الله أو نحو ذلك.

القسم الثاني: وهو الذات، يضاف إلى الله ذات غير المعنى، فالذات مستقلة، والذات المستقلة أيضاً على قسمين: أحدهما: إضافة مخلوق إلى خالقه وهذا يشمل جميع المخلوقين، فكلها =

.....

= مخلوقة لله ﷻ كما يقال: أرض الله، وسماء الله، هذا من باب إضافة المخلوق إلى خالقه، إضافة إبداع وإنشاء وإيجاد، هو ﷻ رب الجميع، وخالق الجميع، فجميع المال مال الله هو الذي أعطاه ﷻ، وجميع العباد عباد الله لأنه خالقهم، كما قال ﷻ: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾﴾ [مريم] فكلهم عبيده ﷻ، فالمال كله ماله، والأرض أرضه، والسماء سماؤه، والمخلوقات كلها مخلوقاته ﷻ، فإضافة شيء منها إليه من باب إضافة المخلوق إلى خالقه.

والقسم الثاني من الذوات القائمة بنفسها هي التي تضاف إلى الله إضافة تشريف وتكريم وتقدير وبيان، لعظم شأنها، كبيت الله الكعبة، فهي خصت بالعبادات كالطواف والاستقبال..

وكناقة الله ناقة صالح، لأنها جاءت له آية لتدل على صدقه؛ ولهذا قيل لها: ناقة الله، تشريفاً لها وتعظيماً لشأنها، لأن الله جعلها آية ومعجزة لنبيه صالح عليه الصلاة والسلام، وهي ناقة عظيمة تملأ الوادي إذا أقبلت وأدبرت كما جاء في الآثار، وهي تشرب ماء =

.....

= بئرهم، وتعطيهم مثله لبناً، لها شِرب يوم ولهم شِرب يوم كما قاله الله جل وعلا.

فهي ناقة عظيمة، فلما كذبوا نبيهم، واستثقلوا ما جاء به، عقروا ناقة الله، وعَتَوا عن أمر الله ﷻ، فعاقبهم الله عقوبة عاجلة.

وهكذا مال الفيء يقال فيه: مال الله، ومال الخمس مال الله وما أشبه ذلك، كذلك العبيد الصالحون الأنبياء والصالحون يقال: عبيد الله وهم عباد الرحمن لأنهم أهل طاعته.

فالإضافة إلى الله من باب التشريف والتكريم لبني آدم، هذه إضافة تتعلق بعبوديته سبحانه، وكونهم عبيده وأحبابه وأولياءه.

والنوع الأول من إضافة المخلوق إلى خالقه من باب إضافة المخلوقين إلى خالقهم، فهي لها تعلق بالربوبية، لأنه ربهم وخالقهم، فإضافة تتعلق بالربوبية وهي الإضافة العامة، وإضافة تتعلق بالألوهية وهي الإضافة الخاصة.

فإذا فهمت هذا المعنى زالت شبهات وتلبيسات كبيرة لأهل البدع.

۞ والمقصودُ منه أن إضافةَ رُوحٍ إلى الله هو مِن الوجهِ الثاني، والله أعلم[1]. [١١١]

[شرح١١١] أي: إضافة روح عيسى بأنه روح الله من باب المعنى الثاني؛ أي: إضافة الذوات، وهي إضافة تشريف وتكريم، فعيسى روح الله، وروح من الأرواح التي خلقها وأوجدها، ولكنه شرفها بإضافتها لاسمه ﷻ.

وأما «كلمة» فهي من إضافة المعنى إلى الله سبحانه، وإضافة الصفة للموصوف لأنه كان بكلمة.

---

(١) ص٥٣.

obeikandl.com

۞ قوله: (والجنةُ حقٌّ والنارُ حقٌّ)[1] أي: وشهدَ أن الجنةَ ـ التي أخبرَ اللهُ بها في كتابه أنه أعدَّها لمن آمنَ به وبرسولِه ـ حقٌّ، أي: ثابتةٌ لا شكَّ فيها، وشهدَ أن ـ النارَ التي أخبرَ اللهُ في كتابه أنه أعدَّها للكافرين به وبرسلِه ـ حقٌّ كذلك، كما قال تعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الحديد:٢١].

وقال تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٢٤] وفيهما دليلٌ على أن الجنةَ والنارَ مخلوقتانِ الآنَ؛ خلافاً لأهلِ البدعِ الذين قالوا: لا يُخلَقانِ إلا في يومِ القيامةِ، وفيه دليلٌ على المعادِ وحَشرِ الأجسادِ.

قولُه: (أدخلَه اللهُ الجنةَ على ما كان مِن العملِ) هذه الجملةُ جوابُ الشرطِ، وفي رواية: «أدخلَه اللهُ الجنةَ مِن أيِّ أبوابِ الجنةِ الثمانية شاء»[2]. =

---

(١) انظر حديث عبادة بن الصامت، سلف في الفقرة [٧٥].

(٢) أخرجه مسلم: الإيمان (٢٨).

= قال القاضي عياضٌ: وما وَرَدَ في حديثِ عُبادةَ يكون خصوصاً لمن قال ما ذكره ﷺ، وقَرَنَ بالشهادتينِ حقيقةَ الإيمانِ والتوحيدِ الذي وَرَدَ في حديثِه، فيكون له من الأَجرِ ما يَرجَحُ على سيئاتِه، ويُوجِب له المغفرةَ والرحمةَ ودخولَ الجنةِ لأولِ وَهْلةٍ[1]. [١١٢]

[شرح١١٢] هذا المعنى لا بد منه، قال الزهري ـ رحمه الله ـ المعروف بابن شهاب: إن هذا كان قبل نزول الشرائع[2]، ولهذا علَّق الحكم بمجرد هذه الشهادة في دخول الجنة.

وقال العلماء: ليس هو كذلك، بل هذا بعد نزول الشرائع، لأن الشرائع نزل بعضها بمكة قبل الهجرة، ولكن المعنى أن من قال هذه الشهادة، والتزم معناها وحقها كسائر الشهادات، فمن شهد ولم يلتزم بحقها فلا يكون له هذا المعنى.

وإنما المعنى أن من شهد أن الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله إلى آخره، والتزم حقها وأدى حقها، ولكن من ضيع =

---

(١) ص٥٣.

(٢) ورد ذلك عند الترمذي: الإيمان، بإثر الحديث (٢٦٣٨).

.....

= حقوقها لا يكون له هذا الفضل، وهو دخول الجنة من أي أبوابها شاء، بل المراد من قالها عن صدق وإخلاص، فإنه لا بد أن يؤدي حقها، ولا بد أن يلتزم معناها، وإلا فيكون قوله كلاماً غير مجد على أهله كالمنافقين، فلم يتبين فضل هذه الكلمة وعظم شأنها، وأنها توجب لأهلها هذا الخير العظيم؛ لأنها تدعوهم إلى العمل، وتقتضي العمل منهم إذا صدقوا، بخلاف الكذابين، فإنها لا تؤثر فيهم، ولا تقتضي العمل منهم.

ومن أدلة ذلك أن الله جل وعلا في كتابه العظيم وسنة رسوله بين أن العصاة على خطر عظيم، وأنهم موعودون بالنار وغضب الجبار، وجاء في وعيده لعنهم وغضب الله عليهم، فلا يلتئم هذا مع هذا، لا يلتئم وعدهم بالجنة مع وعدهم بالنار.

فعلم بذلك أن المراد بهذا الوعد وبهذه العبادة وما يجري معناها من التزم الشهادة، وأدى حقها، قال سبحانه: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٩٣] هذا وعيد له ولو قال: أشهد أن لا إله إلا الله، ولو كان مسلماً. =

.....

= ولكن المسلم الذي يلتزم لا يأتي هذه المعصية، فإن أتاها وعرف إجرامه وسارع بالتوبة استحق المغفرة، والحاصل أن ما جاء في فضل التوحيد، وفضل الإيمان، والوعد بالجنة عليه، فهو معلق على أداء الفرائض وترك المحارم، فإن قَصَّر في ذلك لا يكون له هذا الفضل، وهذا الجواب العظيم والخير الكبير؛ لأنه قد قصر في واجب هذه الشهادة وفي حقها، فيكون تحت مشيئة الله، وعلى خطر من دخول النار.

لكن هذه الأحاديث تدل على أنه ليس من الكفرة بل هو موعود بهذا الخير إذا مات على التوحيد والإخلاص، سواء عُذِّب أو لم يُعذَّب فهو على خير وعلى طريق النجاة، إلا إذا كان قالها مع التكذيب فلا نجاة له ولا خير له، بل هو كسائر المنافقين والضلال الذين وعدهم الله بالدرك الأسفل من النار.

فالحال في نطقها ثلاثة أحوال:

الحال الأولى: ينطق بها مع التكذيب كالمنافقين، هذا لا تنفعه أبداً، وهو مخلد في النار، وفي الدرك الأسفل منها، نسأل الله العافية. =

.....

= الحال الثانية: أن يقولها مع أداء واجبها وحقها، هذا له الجنة والكرامة والسعادة أبد الآباد.

الحال الثالثة: وسط يقولها ولكن لا يؤدي حقها، فهذا تحت مشيئة الله، إن شاء غفر له بتوحيده وإسلامه، وإن شاء عذبه على قدر ما معه من المعاصي والسيئات التي مات عليها؛ لقوله سبحانه في كتابه العظيم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:١١٦].

فبيَّن ﷻ أن أعمال العبد التي يموت عليها قسمان: شرك وما دونه، فمن مات على الشرك فلا مغفرة له، والجنة عليه حرام، نعوذ بالله من ذلك، ومن مات على ما دونه من المعاصي فهو تحت مشيئة الله.

فهذا فصل النزاع وفصل الإيضاح في هذا المقام العظيم الذي غلط فيه المرجئة، وغلط فيه أيضاً القانطون الذين قنطوا من رحمة الله، ويئسوا من رحمة الله ﷻ، وفصل النزاع أيضاً فيما يتعلق بالخوارج والمعتزلة، فإن الخوارج كفروا العصاة وخلدوهم في النار، والمعتزلة وافقوهم في ذلك في المعنى، والمرجئة قالوا: لا يضر مع =

.....

= الإيمان عمل ولو زنى ولو سرق، لا يضره شيء، فضل الجميع، ضلت هذه الطوائف عن الصواب.

ووفَّق الله أهل السنة والجماعة فقالوا: الرجاء مطلوب، ولكن مقرون بالعمل، والخوف مطروح ولكنه مع التوحيد، لكن لا يجوز القنوط فيقع صاحبه تحت المشيئة، وردوا على الخوارج فقالوا: العمل من الإيمان، والقول من الإيمان، ولكن الإيمان يزيد وينقص، فقد يفوته بعض الشُّعَب ولا يكون كافراً وقد يفعل بعض المعاصي ولا يكون كافراً، فليس بفعل معصية يزول الإيمان كله، ولا بترك واجب يزول الإيمان كله.. قد يترك بعض الواجبات فلا يزول، قد يكون عاقاً فلا يزول إيمانه، بل معه أصل الإيمان، قد يؤخر الزكاة فلا يزول إيمانه بل يبقى معه أصل الإيمان ومعه المعصية الكبيرة العظيمة، قد يزني ولا يزول إيمانه بالكُلِّية بل يبقى معه أصل الإيمان، وإن كان قد زال كماله، وفي الحديث الصحيح: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمنٌ»[1]. =

(١) أخرجه البخاري: المظالم والغصب (٢٤٧٥)، ومسلم: الإيمان (٥٧).

.....

= وبهذا يعلم الفرق العظيم بين أهل السنة وبين هذه الطوائف، وأن أهل السنة وفقهم الله للصراط المستقيم، فصاروا وسطاً في هذه الأمور بين الغالي والجافي، بين الغلاة من الخوارج والمعتزلة، وبين الجفاة من المرجئة وأشباههم، وبهذا يوفق العبد لصراط الله الذي سلكه أصحاب رسول الله ﷺ، وسلكه أتباعهم بإحسان إلى التوسط في هذه الأمور، وعدم الغلو والجدل، وعدم الإفراط والتفريط*.

* س: الطوائف ثلاث وسبعون فرقة، أيها المخلدة وأيها الناجية؟

ج: الفرقة الناجية واحدة أما اثنتان وسبعون فهي موعودة بالنار، ولكنها مختلفة، فيها الكافر، وفيها غير الكافر، فيها الكافر الذي يخلد في النار، وفيها الموعود بالنار وإن كان غير كافر، كالخوارج عند من لم يكفِّرهم، والمعتزلة عند من لم يكفِّرهم، وهم متوعَّدون بالنار، وهكذا بعض الشيعة وما أشبه ذلك.

۞ قال: ولهما من حديثِ عِتْبانَ: «فإنَّ اللهَ حرَّمَ على النارِ مَن قال: لا إلهَ إلا اللهُ، يبتغي بذلك وجهَ الله»[1].

قولُه: (ولهما) أي: للبخاريِّ ومسلمٍ في «صحيحيهما»، وهذا الحديثُ طرفٌ مِن حديثٍ طويلٍ، أخرجه الشيخانِ؛ كما قال المصنف، و«عِتبانُ» ـ بكسر المهملة، بعدَها مثناةٌ فوقيةٌ ثم موحدةٌ ـ ابنُ مالكِ بنِ عُمرَ بنِ العَجْلانِ الأنصاريُّ، من بني سالمِ بنِ عوف، صحابيٌّ شهيرٌ مات في خلافة معاويةَ.

قولُه: (فإن اللهَ حرَّم على النارِ...) الحديث، اعلَمْ أنه قد وردت أحاديثُ ظاهُرها أنه مَن أتى بالشهادتينِ حَرُمَ على النار؛ كهذا الحديثِ، وحديثِ أنسٍ قال: كان النبيُّ ﷺ ـ ومُعاذٌ رَديفُه على الرَّحلِ ـ فقال: «يا مُعاذُ». قال: لَبَّيكَ يا رسولَ الله وسَعدَيكَ. قال: «ما مِن عبدٍ يشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وأن محمداً رسولُ الله إلا حَرَّمَه على النارِ». قال: يا =

(١) أخرجه البخاري: الصلاة (٤٢٥)، ومسلم: المساجد ومواضع الصلاة (٦٥٧)(٢٦٣).

= رسولَ الله، ألا أُخبِر بها الناسَ فيَستَبشِروا؟ قال: «إذاً يَتَّكِلُوا». فأخبرَ بها معاذٌ عندَ موتِهِ تَأَثُّماً. أخرجاه[1].

ولمسلمٍ عن عُبادةَ مرفوعاً: «مَن شهدَ أن لا إلهَ إلا اللهُ وأن محمداً عبدُه ورسولُه حَرَّمَ اللهُ عليه النارَ»[2].

ووردت أحاديثُ فيها أن مَن أتى بالشهادتينِ دخلَ الجنةَ، وليس فيها أنه يَحرُم على النارِ، منها حديثُ عُبادةَ الذي تقدَّم قبلَ هذا، وحديثُ أبي هريرةَ: أنَّهم كانوا مع النبيِّ ﷺ في غزوةِ تبوكَ... الحديث.

وفيه: فقال رسولُ الله ﷺ: «أشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وأني رسولُ الله، لا يلقَى اللهَ عبدٌ بهما، غيرَ شَاكٍّ فيهما، فيُحجَب عن الجنةِ». رواه مسلم[3].

وحديثُ أبي ذَرٍّ في «الصحيحين» مرفوعاً: «ما مِن عبدٍ، قال: لا إلهَ إلا اللهُ ثم ماتَ على ذلك إلا دخلَ الجنةَ...» =

---

(١) أخرجه البخاري: العلم (١٢٨)، ومسلم: الإيمان (٣٢).

(٢) أخرجه مسلم: الإيمان (٢٩).

(٣) أخرجه مسلم: الإيمان (٢٧).

= الحديث[1].

وأحسنُ ما قِيل في معناه ما قالَه شيخُ الإسلامِ وغيرُه: إن هذه الأحاديثَ إنما هي فيمن قالَها وماتَ عليها؛ كما جاءت مقيدةً، وقالَها خالصاً من قلبُه، مستيقناً بها قلبُه، غيرَ شَاكٍّ فيها، بصدقٍ ويقينٍ؛ فإن حقيقةَ التوحيدِ انجذابُ الروحِ إلى الله جملةً، فمن شهدَ أن لا إلهَ إلا اللهُ خالصاً مِن قلبِه دخلَ الجنةَ؛ لأن الإخلاصَ هو انجذابُ القلبِ إلى الله تعالى بأن يتوبَ من الذنوبِ توبةً نَصُوحاً، فإذا ماتَ على تلك الحالِ نالَ ذلك.

فإنه قد تواترت الأحاديثُ بأنه يخرج مَن النار من قال: «لا إلهَ إلا اللهُ» وكان في قلبه من الخيرِ ما يَزِنُ شَعيرةً وما يَزِنُ خَردَلةً وما يَزِنُ ذَرَّةً، وتواترت بأن كثيراً ممن يقول: لا إلهَ إلا اللهُ يدخلُ النارَ ثم يخرجُ منها، وتواترت بأن اللهَ حَرَّم على النارِ أن تأكلَ أثرَ السجودِ من ابنِ آدمَ، فهؤلاء كانوا يُصَلُّون =

(١) أخرجه البخاري: اللباس (٥٨٢٧)، ومسلم: الإيمان (٩٤).

= ويسجدون لله، وتواترت بأنه يَحرُم على النارِ من قال: لا إلهَ إلا اللهُ، ومن شهدَ أن لا إلهَ إلا اللهُ وأن محمداً رسولُ الله.

لكن جاءت مقيدةً بالقيودِ الثِّقالِ، وأكثرُ مَن يقولُها لا يعرفُ الإخلاصَ ولا اليقينَ، ومَن لا يعرفُ ذلك يُخشَى عليه أن يُفتَن عنها عندَ الموتِ، فيُحال بينه وبينها، وأكثرُ مَن يقولُها إنما يقولها تقليداً أو عادةً، ولم يُخالِطِ الإيمانُ بَشاشةَ قلبِه، وغالبُ مَن يُفتَن عندَ الموتِ وفي القبورِ أمثالُ هؤلاء كما في الحديث: «سمعتُ الناسَ يقولون شيئاً فقُلتُه»[1].

وغالبُ أعمالِ هؤلاء إنما هو تقليدٌ واقتداءٌ بأمثالهم، وهم أقربُ الناسِ من قوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف:٢٣].

وحينئذٍ فلا منافاةَ بين الأحاديثِ؛ فإنه إذا قالَها بإخلاصٍ ويقينٍ تامٍّ لم يكن في هذه الحالِ مُصِرّاً على ذنبٍ أصلاً، فإن كمالَ إخلاصِه ويقينِه يوجِبُ أن يكونَ اللهُ أحبَّ =

(١) أخرجه البخاري: العلم (٨٦)، ومسلم: الكسوف (٩٠٥).

= إليه من كلِّ شيءٍ، فإذاً لا يبقَى في قلبِه إرادةٌ لما حَرَّم اللهُ ولا كراهيةٌ لما أمرَ اللهُ، وهذا هو الذي يَحرُم على النارِ، وإن كانت له ذنوبٌ قبلَ ذلك.

فإن هذا الإيمانَ، وهذه التوبةَ، وهذا الإخلاصَ، وهذه المحبةَ، وهذا اليقين، لا يتركون له ذنباً إلا يُمحَى؛ كما يُمحَى الليلُ بالنهار، فإذا قالها على وجه الكمالِ المانعِ من الشركِ الأكبرِ والأصغرِ فهذا غيرُ مُصِرٍّ على ذنبٍ أصلاً، فيغفر له ويَحرُم على النار.

وإن قالها على وجهٍ خَلَصَ به من الشركِ الأكبرِ دونَ الأصغرِ، فلم يأتِ بعدَها بما يناقضُ ذلك، فهذه الحسنةُ لا يقاوِمُها شيءٌ من السيئاتِ، فيَرجَح بها ميزانُ الحسناتِ كما في حديثِ البطاقةِ[1]، فيَحرمُ على النارِ، ولا تَنقُصُ درجتُه في الجنةِ بقَدرِ ذنوبِه.

وهذا بخلافِ من رجحَت سيئاتُه على حسناتِه ومات =

(١) أخرجه الترمذي: الإيمان (٢٦٣٩)، وابن ماجه: الزهد (٤٣٠٠).

= مُصِرّاً على ذلك، فإنه يستوجبُ النارَ، وإن قال: لا إلهَ إلا اللهُ، وخلصَ بها من الشِّركِ الأكبرِ، لكنه لم يَمُت على ذلك، بل أتَى بعد ذلك بسيئاتٍ رجحَت على حسنةِ توحيدِه، فإنه في حالِ قولِها كان مخلصاً لكنه أتَى بذنوبٍ أَوهَنَت ذلك التوحيدَ والإخلاصَ فأضعفَته، وقويت نارُ الذنوبِ حتى أحرقت ذلك.

بخلاف المخلصِ المستيقنِ؛ فإن حَسناتِه لا تكون إلا راجحةً على سيئاته، ولا يكون مُصِرّاً على سيئةٍ، فإن مات على ذلك دخلَ الجنةَ، وإنما يُخافُ على المخلصِ أن يأتيَ بسيئاتٍ راجحةٍ فيَضعُفَ إيمانُه، فلا يقولها بإخلاص ويقينٍ مانعٍ من جميع السيئاتِ، ويُخشَى عليه من الشركِ الأكبرِ والأصغرِ، فإن سَلِم من الأكبرِ بقيَ معه من الأصغرِ، فيضيفُ إلى ذلك سيئاتٍ تنضمُّ إلى هذا الشركِ، فيرجَحُ جانبُ السيئاتِ.

فإن السيئاتِ تُضعِفُ الإيمانَ واليقينَ، فيَضعُفُ بذلك =

= قولُ: «لا إلهَ إلا اللهُ»، فيمتنع الإخلاصُ في القلبِ، فيصير المتكلِّمُ بها كالهاذي أو النائمِ أو مَن يُحسِّنُ صوتَه بآيةٍ من القرآن من غيرِ ذوقِ طعمٍ ولا حلاوةٍ، فهؤلاء لم يقولوها بكمالِ الصدقِ واليقينِ، بل يأتون بعدَها بسيئاتٍ تُنقِصُ ذلك الصدقَ واليقينَ، بل يقولونها من غير يقينٍ وصدقٍ، ويموتون على ذلك ولهم سيئاتٌ كثيرةٌ تمنعُهم من دخولِ الجنةِ.

وإذا كَثُرتِ الذنوبُ ثَقُلَ على اللسانِ قولُها، وقسا القلبُ عن قولها، وكرِهَ العملَ الصالحَ، وثَقُلَ عليه سماعُ القرآنِ، واستبشَرَ بذِكرِ غيرِه، واطمأنَّ إلى الباطل، واستحلَى الرَّفَثَ ومخالطةَ أهلِ الغفلةِ، وكَرِهَ مخالطةَ أهلِ الحقِّ، فمثلُ هذا إذا قالها قالَ بلسانِه ما ليس في قلبه، وبِفِيهِ ما لا يُصَدِّقُ عملُه، كما قال الحسنُ: ليس الإيمانُ بالتحلِّي ولا بالتمنِّي، ولكن ما وَقَرَ في القلوبِ وصَدَّقَته الأعمالُ.

فمن قال خيراً وعملَ خيراً قُبِل منه، ومن قال شرّاً وعمل شرّاً لم يُقبَل منه، وقال بكرُ بنُ عبد الله المُزَنيُّ: ما =

= سبقَهم أبو بكرٍ بكثرةِ صيامٍ ولا صلاةٍ، ولكن بشيءٍ وقر في قلبِهِ. فمن قال: «لا إلهَ إلا اللهُ» ولم يَقُم بمُوجِبها، بل اكتسبَ مع ذلك ذنوباً وسيئاتٍ، وكان صادقاً في قولها موقِناً بها، لكنَّ ذنوبَه أضعافُ أضعافِ صدقِه ويقينِه، وانضافَ إلى ذلك الشركُ الأصغرُ العمليُّ، رجحت هذه الأشياءُ على هذه الحسنةِ، ومات مُصِرّاً على الذنوب.

بخلاف من يقولها بيقينٍ وصدقٍ تامٍّ؛ فإنه لا يموتُ مُصِرّاً على الذنوب، إما ألّا يكونَ مُصِرّاً على سيئةٍ أصلاً، أو يكونَ توحيدُه المتضمِّن لصدقِه ويقينِه رَجَّح حسناتِه، والذين يدخلون النارَ ممن يقولها قد فاتهم أحدُ هذين الشرطين: إمّا أنَّهم لم يقولوها بالصدق واليقينِ التامَّينِ المنافِيَينِ للسيئاتِ، أو لرجحانِ السيئاتِ، أو قالوها واكتسبوا بعدَ ذلك سيئاتٍ رجحَت على حسناتِهم[1]. [١١٣]

[شرح١١٣] هذان الشرطان، إما أن يكونوا قالوها بغير الصدق =

(١) ص٥٣-٥٦.

.....

= التام واليقين التام، فلهذا رجحت سيئاتهم ودخلوا النار، وإما أن يكونوا قالوها بصدق وإخلاص، ثم بعد هذا طرأ عليهم الذنوب والسيئات، فأضعفت صدقهم وأضعفت يقينهم، فماتوا على السيئات غير تائبين، فدخلوا جهنم، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

obeikandl.com

۞ ثم ضَعُفَ لذلك صدقُهم ويقينُهم ثم لم يقولوها بعدَ ذلك بصدق ويقينٍ تامٍّ لأن الذنوبَ قد أضعفت ذلك الصدقَ واليقينَ من قلوبِهم فقولُها من مثلِ هؤلاء لا يَقوَى على مَحوِ السيئاتِ بل ترجحُ سيئاتُهم على حسناتِهم. انتهى ملخصاً، وقد ذكر معناه غيرُه كابنِ القيِّم وابنِ رجبٍ والمنذِريِّ والقاضي عياضٍ وغيرِهم.

وحاصلُه: أن «لا إلهَ إلا اللهُ» سببٌ لدخولِ الجنةِ، والنجاةِ من النارِ ومقتضٍ لذلك، ولكن المقتضي لا يعملُ عملَه إلا باستجماع شروطِه، وانتفاءِ موانعِه، فقد يتخلَّف عنه مقتضاهُ لفواتِ شرطٍ من شروطِه، أو لوجودِ مانعٍ، ولهذا قِيلَ للحَسَنِ: إن ناساً يقولون: من قال: «لا إلهَ إلا اللهُ» دخلَ الجنةَ، فقال: من قال: «لا إلهَ إلا اللهُ» فأدَّى حقَّها وفرضَها دخلَ الجنةَ.

وقال وَهْبُ بنُ مُنبِّهٍ لمن سأله: أليسَ «لا إلهَ إلا اللهُ» مفتاحُ الجنَّةِ؟ قال: بلَى، ولكن ما من مفتاحٍ إلا وله أسنانٌ، =

= فإن جئتَ بمفتاحٍ له أسنانٌ فُتِحَ لكَ، وإلا لم يُفتَح[١].

ويدلُّ على ذلك أن اللهَ رَتَّب دخولَ الجنةِ على الإيمان والأعمالِ الصالحةِ، وكذلك النبيُّ ﷺ، كما في «الصحيحين» عن أبي أيّوبَ، أنَّ رجلاً قال: يا رسولَ الله، أخبرني بعملٍ يُدخِلُني الجنةَ، فقال: «تَعبُدُ اللهَ ولا تُشرِكُ به شيئاً، وتقيمُ الصلاةَ، وتؤتي الزكاةَ، وتَصِلُ الرَّحِمَ»[٢].

وفي «المسند» عن بشيرِ ابن الخَصاصِيَةِ، قال: أتيتُ النبيَّ ﷺ لأُبايعَه فاشترطَ عليَّ شهادةَ أن لا إلهَ إلا اللهُ، وأنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، وأن أُقيمَ الصلاة، وأن أُوتيَ الزكاةَ، وأن أَحُجَّ حَجَّةَ الإسلامِ، وأن أصومَ رمضانَ، وأن أجاهِدَ في سبيلِ الله، فقلتُ: يا رسولَ الله، أما اثنتين[٣] فوالله لا أُطيقُهما: الجهادُ والصدقةُ. فقبضَ رسولُ الله ﷺ يدَه، ثم =

---

(١) أخرجه البخاري تعليقاً: الجنائز، قبل (١٢٣٧).

(٢) أخرجه البخاري: الأدب (٥٩٨٣)، ومسلم: الإيمان (١٣).

(٣) قال سماحة الشيخ: «اثنتين» غلط، ومقتضى العربية الرفع هنا، لأنها مبتدأ، والصواب: أما اثنتان، مثل: (أما السفينةُ)، (وأما الغلامُ).

= حرَّكَها وقال: «فلا جهادَ ولا صدقةَ، فبِمَ تدخلُ الجنةَ إذاً؟!» قلتُ: يا رسولَ الله، أبايعُك عليهنَّ كلِّهنَّ [١].

ففي الحديثِ أن الجهادَ والصدقةَ شرطٌ في دخول الجنةِ مع حصولِ التوحيدِ والصلاةِ والحجِّ والصيامِ، والأحاديثُ في هذا البابِ كثيرةٌ[٢]. [١١٤]

[شرح١١٤] من هذا الباب ما في «الصحيحين» من حديثِ جريرِ بنِ عبد الله البجليِّ رضي الله عنه قال: بايعتُ النبيَّ عليه الصلاة والسلام على شهادة أن لا إلهَ إلا اللهُ، وأن محمداً رسولُ الله، وإقامِ الصلاة، وإيتاءِ الزكاة، والسَّمعِ والطاعة. قال: فلَقَّنَني: «فيما استطعتَ». قال: والنُّصحِ لكلِّ مسلمٍ[٣].

بايعَه على هذا كلِّه عليه الصلاةُ والسلامُ.

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٢٢٤).

(٢) ص٥٦-٥٧.

(٣) أخرجه البخاري: البيوع (٢١٥٧) و(٧٢٠٤)، ومسلم: الإيمان (٥٦).

۞ وفي الحديثِ دليلٌ على أنه لا يَكفِي في الإيمانِ النطقُ من غيرِ اعتقادٍ، وبالعكسِ، وفيه تحريمُ النارِ على أهلِ التوحيدِ الكاملِ، وفيه أن العملَ لا ينفعُ إلا إذا كان خالصاً لله تعالى[1]. [١١٥]

[شرح١١٥] هذا بحث عظيم مهم جداً، جدير بالعناية، وجدير بالتدبر والتعقل، وجدير بالنظر والتكرار؛ لأنه يخلص من شبهات كثيرة، ويجعل طالب العلم على بصيرة في هذه الأحاديث التي يتشبث بها عباد القبور، ويتشبث بها أصحاب الردة ونواقض الإسلام، فقد أوضح العلماء كما سمعتم معانيها إيضاحاً كاملاً، وذكر الشارح الخلاصة بعد ذلك.

فالخلاصة أن هذه الأحاديث التي فيها تحريم النار على من قال: لا إله إلا الله، وفيها أن:« من قال: لا إله إلا الله، دخل الجنة»[2]، وفي بعضها: «من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله دخل الجنة»[3] إلى غير ذلك ـ فيها تفصيل، فالأحاديث التي فيها الإطلاق =

---

(١) ص٥٧.

(٢) مثل حديث جابر بن عبد الله، أخرجه ابن حبان في «صحيحه»: الإيمان (١٥١).

(٣) مثل حديث أبي الدرداء، أخرجه النسائي في «الكبرى» (١٠٨٩٨).

.....

= مقيدة بالأحاديث التي فيها التقييد، فما جاء من الأحاديث مطلقاً فإنه مقيد بالأحاديث الأخرى والآيات المقيدة.

وقد أجمع أهل العلم قاطبة على أن مجرد قول: لا إله إلا الله، مجرد الشهادة من دون عمل لا يجدي على أهله، ولا ينقذهم من النار، فلا بد من إخلاص في هذا الذكر، ولا بد من عقيدة؛ فالمنافقون كانوا يقولونها وما نجَّتهم من النار، والعياذ بالله.

فالحاصل أن ما جاء مطلقاً فهو مقيد بالأدلة الأخرى، فمن قال هذه الكلمة بإخلاص وصدق ويقين تامّ مُحيَت سيئاتُه، ووجبت له التوبة من سيئاته، فهذا يدخل الجنة من أول وهلة.

وأما من قالها بغير إخلاص تامّ وبغير يقين تامّ، بل قد تلطخ بالمعاصي والسيئات، فهو تحت مشيئة الله، أو قالها بإخلاص تامّ وصدق تامّ، أو ترك السيئات والتوبة منها، ثم بعد ذلك طغت عليه السيئات، واكتسب السيئات والمعاصي، فإن هذا الاكتساب للسيئات والمعاصي يضعف توحيده ويضعف إيمانه، ويكون بهذا مستحقاً للنار، ويكون تحت مشيئة الله جل وعلا. =

.....

= فينبغي التفطن لهذا، وعدم الغفلة عن هذا الشيء العظيم الذي فيه إزالة للشبهة وإيضاح للحق الذي لا ريب فيه، فكلام الله لا يتناقض، وكلام رسوله لا يتناقض عليه الصلاة والسلام، ويصدق كلٌّ واحد منهما الآخرَ، يصدق بعضه بعضاً، ويؤيد بعضه بعضاً، ويوضح بعضه بعضاً، فالأمر بحمد الله واضح عند أهل العلم والإيمان والبصائر.

لكن يشتبه على أهل الهوى، أو على الجهلة الذين يتعلقون بالأموات، والاستغاثة بالأموات، والنذر للأموات، وعبادة القبور من دون الله، أو على الذين ابتلوا بالمعاصي والسيئات، وابتلوا بالميل إليها، وتعلقوا بهذه الأخبار المطلقة، وأقنعوا أنفسهم بجواز هذه المعاصي والركون إليها*.

---

* س: قوله: (وغالب أعمال هؤلاء إنما هو تقليد واقتداء بأمثالهم، وهم أقرب الناس من قوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾)[1] ماذا يعني به؟

ج: يعني: في الوعيد. =

---

(١) سلف ص٢٥٩.

.....

= **س: يعني إذا رد أحد الكتاب والسنة بسبب تقليد مذهبي، أو لما يرى عليه آباءه، يستدل عليه بهذه الآية؟**

ج: فيه شبه بهم، والعلماء يستدلون بآيات الشرك الأكبر على الأصغر، فيستدلون بالتي نزلت في الكفار على من تساهل بأمر الله وتشبه بالكفار، وإن لم يكن متشبهاً بهم من جميع الوجوه، لكن يكفي أن يكون فيه شبه به.

س: ولكن إذا استدللت بها عليهم قالوا: جعلنا من الكفار!

ج: الآيات التي للشرك الأكبر يستدل بها على الأصغر وعلى المعاصي في الجملة؛ لأنها تشبه بأهل الكفر، فبالتقليد ومتابعة الأمر بغير نظر، ومن غير تبصر، ومن غير عناية، يكون مشابهاً لأولئك الأعداء، وفي الحديث: «مَن تَشَبَّه بقومٍ فهو منهم»[1]، فيخشى عليه من العاقبة السيئة، وإن كان لم يكن مثلهم من كل الوجوه، نسأل الله العافية.

---

(١) أخرجه أبو داود: اللباس (٤٠٣١).

۞ قال: وعن أبي سعيدٍ الخدريِّ، عن رسولِ الله ﷺ، قال: «قال موسى: يا ربِّ، عَلِّمني شيئاً أذكُرُكَ وأدعوكَ به، قال: قُل يا موسى: لا إلهَ إلا اللهُ، قال: كلُّ عبادِكَ يقولون هذا. قال: يا موسى، لو أنَّ السماواتِ السبعَ وعامِرَهُنَّ غيري، والأرضينَ السبعَ في كِفَّةٍ، ولا إلهَ إلا اللهُ في كِفَّةٍ، مالَت بهنَّ لا إلهَ إلا اللهُ». رواه ابنُ حبان والحاكمُ وصحَّحه[1].

أبو سعيدٍ: اسمُه سعدُ بنُ مالكِ بنِ سنانِ بنِ عُبيدٍ الأنصاريُّ الخزرجيُّ، صحابيٌّ جليلٌ، وأبوه أيضاً كذلك، استُصغِر أبو سعيدٍ بأُحُدٍ ثم شهدَ ما بعدَها، مات بالمدينة سنة ثلاث ـ أو أربع أو خمس ـ وستين، وقيل: أربع وسبعين.

قولُه: (أذكُرُكَ) هو بالرفع خبرُ مبتدأ محذوفٍ، أي: أنا أذكرُكَ، وقيل: بل هو صفةٌ، و«أدعوكَ» معطوفٌ عليه، أي: أُثنِي عليكَ وأحمَدُك به، (وأدعوكَ) أي: أتوسَّلُ به إليكَ إذا دعوتُكَ. =

(١) أخرجه ابن حبان في «صحيحه»: التاريخ (٦٢١٨)، والحاكم في «المستدرك»: الدعاء (١/ ٥٢٨).

= قولُه: (قُل يا موسَى: لا إلهَ إلا اللهُ) فيه أن الذّاكِرَ بها يقولُها كلَّها، ولا يقتصرُ على لفظِ الجلالةِ كما يفعلُه جُهّالُ المتصوِّفةِ، ولا يقول أيضاً «هو» كما يقولُه غلاةُ جُهّالِهم، فإذا أرادوا الدعاء قالوا: «يا هو» فإنَّ ذلكَ بدعةٌ وضلالةٌ، وقد صنَّفَ جُهّالُهم في المسألتينِ، وصنَّفَ ابنُ عربيٍّ كتاباً سمّاه بـ«الهو»[1]. [١١٦]

[شرح١١٦] هذا من جهل الصوفية، ولهم أغلاط وقبائح، وهم قوم يتعبدون ولهم أشياء مبتدعة، وطرق ومسالك في العبادة، ولهم أوراد ابتدعوها ونظموها وصارت لهم مذاهب ومسالك، كل طائفة ابتدعت شيئاً منها، مِن شاذلية، ومن نقشبندية، ومن قادرية، ومن خَلْوتية، ومن تيجانية وغير ذلك، وأكثرهم على غير بصيرة وعلى غير هدى، بل جهال لهم مقاصد سيئة من أكل أموال الناس بالباطل، ومن الصدّ عن سبيل الله، ومنها قصد الشهرة والظهور بشيء ما فعله الآخرون.

ومنهم أناس اجتهدوا ولكنهم أخطؤوا وغلطوا في هذا الباب، =

---

(١) ص٥٧.

.....

= وكان أصل ذلك الزهد في الدنيا، والورع عن بعض المحارم، والرغبة في الآخرة، من أصولهم من العباد القدامى والأخيار القدامى، فجاء قوم جهلوا الطريق، وأساؤوا التصرف وصارت لهم أعمال مبتدعة، وأخلاق منحرفة، وأوقعوا في الشرك وعبادة غير الله ﷻ، ثم آل بهم الأمر إلى أن عبدوا شيوخهم، وجعلوهم من ذات الآلهة الذين ينفعون ويضرون، ويتصرفون في الكون، فحصل منهم بلاء عظيم وشرّ كثير، وفتن منتشرة في البلاد.

ومن جملة ما اخترعوه واشتهروا به: أنهم يقولون في ذكرهم: الله الله الله الله، ما يقولون: لا إله إلا الله، إنما يقولون: كلمة «الله الله» فقط، وبعضهم كان يقول: هو هو، أكثر اختصاراً في الكلام يعني: هو الله، هو يعني: هو ربي، فيترك «لا إله إلا الله» ويقول: هو هو.

وهذه كلها من البدع التي أحدثوها، وهذا كله منكر، والنبي ﷺ أمر أن يقال: «لا إله إلا الله»؛ «قولوا: لا إله إلا الله»[1] فالمقصود أنه ﷺ كان يقول: لا إله إلا الله، ويأمر الناس بأن يقولوا: لا إله إلا الله. =

(١) أخرجه الترمذي: تفسير القرآن (٣٢٣٢).

.....

= أما «الله الله» أو «هو هو» فهذه من البدع المحدثة التي أحدثها المتصوفة، وغلطوا في ذلك وأخطؤوا، فلهذا نبه عليه المؤلف.

أما ابن عربي فهو رئيس وحدة الوجود، وتصنيفه لكتابه «الهو» هذا من جهله وانحرافه، وأشد من ذلك وأكبر وأعظم دعوته إلى الوحدة، وأن الإله هو المألوه، وأن الإله والعبد واحد، والعبد هو المعبود، والخالق هو المخلوق، والرازق هو المرزوق، إلى غير ذلك من ضلالتهم التي لا يستطاع ذكرها، ولا يقوى اللسان والقلب على الكلام فيها لقبحها وضلالها.

فالحاصل أن ابن عربي من الضلال، وممن كفره جمع من أهل العلم لضلاله وتلبيسه، ودعوته إلى وحدة الوجود وأشياء في كتبه خبيثة لا ينبغي ذكرها، نسأل الله العافية، وله كتاب «الفتوحات»، و كتاب «الفصوص»، وهو من غلاة المتصوفة ومن أئمتهم في الشر والكفر والضلال، نسأل الله العافية.

۞ قوله: (كُلُّ عبادِك يقولون هذا) هكذا ثَبَت بخطِ المصنِّفِ[١]: «يقولون» بالجمع مراعاةً لمعنى كلّ، والذي في الأصولِ «يقول» بالإفرادِ مراعاةً لِلَفظِها دونَ معناها، لكن قد روى الإمامُ أحمدُ عن عبدِ الله بنِ عمرٍو هذا الحديثَ بهذا اللفظِ الذي ذكرَه المصنِّفُ وأطولَ منه[٢].

وفي «سنن النسائي» والحاكم و«شرح السنة» بعدَ قولِه: (كلُّ عبادِك يقولون هذا): «إنما أريدُ شيئاً أن تَخُصَّني به»[٣] أي: بذلكَ الشيءِ من بين عُمومِ عِبادك[٤]. [١١٧]

[شرح١١٧] يعني: شيئاً زائداً على الناس، ظن موسى أن هناك شيئاً يفوق «لا إله إلا الله» ويفضل عليها، فأراد أن يخصه ربه بذلك؛ لأن لا إله إلا الله يقولها المسلمون، فطلب عليه الصلاة والسلام =

---

(١) في المخطوطة: أثبت بخط المصنف.

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ١٧٠).

(٣) «السنن الكبرى» للنسائي (١٠٦٠٢) و(١٠٩١٣)، و«المستدرك» للحاكم (١/ ٥٢٨)، و«شرح السنة» للبغوي (١٢٧٣).

(٤) ص٥٧-٥٨.

.....

= مزيداً من العلم والفضل، ثم أيضاً العدول عما شرعه الله إلى لفظ ما شرعه الله*.

* س: ما صحة هذا الحديث؟

ج: جيد، أسانيده جيدة.

س: ما حكم ما يقوله بعض الناس عند سماع القرآن: الله الله؟

ج: يقوله بعض المصريين، وليس له أصل، فالمشروع عند سماع القرآن السؤال عند آية الرحمة، والتعوذ عند آية الوعيد، وتسبيح الله وتقديسه عند ذكر الأسماء سبحان الله، والله أكبر، أما «الله الله» وحدها فلا تنفع.

س: يقولون ذلك عند القرآن وعند الأغاني.

ج: الله المستعان.

۞ فإنَّ من طَبْعِ الإنسانِ ألّا يفرحَ فرحاً شديداً إلّا بشيءٍ يختصُّ به دون غيرِه؛ كما إذا كانت عندَه جوهرةٌ ليست موجودةً عندَ غيرِه. مع أن من رحمةِ الله وسُنَّتِهِ المطَّرِدَةِ أن ما اشتدَّت إليه الحاجةُ والضرورةُ، كان أكثرَ وجوداً كالبُرِّ والملحِ والماء ونحو ذلك، دون الياقوتِ واللؤلؤ[1]. [١١٨]

[شرح١١٨] هذا من رحمة الله جل وعلا، ما كانت الضرورة إليه أشدّ والحاجة إليه أمسّ، يسَّره الله لعباده، وجعله منشوراً ورخيصاً حتى يتناوله الفقير والغني، بخلاف ما ليس له ضرورة فإنه قد يكون موجوداً ولكنه قليل؛ لأنه لا ضرورة إليه، وقد يكون غالياً أيضاً كالياقوت والجوهر واللآلئ الطيبة، والذهب وأشباه ذلك، فالماء ضرورة لا يستغني عنه أحد فجعله ميسراً بحمد الله، وهكذا البُرّ والتمر والملح وأشباه ذلك، ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ [الأنبياء:٣٠].

---

(١) ص٥٨.

۞ ولـمّا كان بالناسِ، بل بالعالمِ كلِّه من الضرورةِ إلى «لا إلهَ إلا اللهُ» ما لا نهايةَ في الضرورةِ فوقَه، كانت أكثرَ الأذكارِ وجوداً، وأيسرَها حصولاً وأعظمَها معنًى، والعوامُّ والجُهَّالُ يعدلون عنها إلى الأسماء الغريبةِ والدعواتِ المُبتدَعَةِ التي لا أصلَ لها في الكتاب والسُّنَّةِ؛ كالأحزابِ والأورادِ التي ابتدعَها جهلةُ المتصوِّفةِ[1]. [١١٩]

[شرح١١٩] ولكن مع كثرتها ومع وجودها بالنسبة للمسلمين قَلَّ من يفقهونها ويفهمون معناها جيداً، ويفهمون أنها تبطل الآلهة، أي: لا معبود من دون الله، وأنها توجب أن يكون الله هو المعبود بحق ﷻ، وكان الكفرة من قريش وغيرهم يفهمونها أكثر من كثير من الناس اليوم؛ لأن أكثر الناس اليوم لا يعنى بالمعنى ولا بالحقائق، إنما يكتفي بمجرد الأشياء الظاهرة، والألفاظ السائرة من غير عناية؛ لأنه مشغول عنها بأشياء أخرى، مشغول عنها بدنياه وحاجاته وشهواته والتوسع فيما لا ينفعه، بل قد يضره كثيراً.

وأما الخُلَّصُ من الناس وأهل البصائر، فهم يعنون بالمعاني =

---

(١) ص٥٨.

.....

= والحقائق أكثر مما يعنون بالألفاظ والأشياء الظاهرة؛ لأنهم يعلمون أن المقصود الحقائق، وليس المقصود المظاهر، فلذلك تجد المؤمن، وطالب العلم يعنى بتدبر الآيات والإقبال على معانيها، ويخشع عند تلاوتها، ويعنى بالأذكار الشرعية أكثر مما يعنى غيره بذلك*.

---

* **س: هل يستطيع المسلمون أن يمنعوا كتب المتصوفة؟**

ج: بالنسبة إلى بلادنا كل كتبهم ممنوعة، أما في البلاد الأخرى ففيها الشرك الأكبر ظاهر، فماذا يمنعون، المقصود أنها كلها ممنوعة، ككتاب «فصوص الحكم» ففيه كفر شديد، وغيره.

س: هل لفظ التصوف لفظ إسلامي أم مبتدع؟

ج: لا أعرف، وأظنه مبتدعاً، لكنه اشتهر بين الناس، وأطلق عليهم، واشتهروا وعرفوا به، ولو كان مبتدعاً، فما دام قد عرفوا به وشاع بينهم، وتسموا به فيسمون به.

س: هل نختار لفظاً أحسن منه؟

ج: إن هداهم الله وتابوا سموا بالاسم الطيب، وما داموا على العمل الرديء فيسمون باسمهم.

س: ما مرادكم بكلمة «مستقيمين» التي يذكرها شيخ الإسلام وتتردد في كتبه؟ =

.....

= ج: المستقيمون هم أهل الزهد، وما هم بأهل التصوف، من كان مثل بشر الحافي والفضيل بن عياض وأشباه هؤلاء فهم أهل الزهد والعبادة، وكانوا قبل بدعة التصوف، فيقال لهم: الزهاد والعباد.

س: لا ينبغي إطلاق كلمة التصوف والصوفية على العلماء؟

ج: المعروفون بخير يقال لهم: العباد والزهاد، ولا يقال لهم: الصوفية، إنما يقال: الصوفية، لأهل البدع الذين اخترعوا أشياء جديدة.

س: بعض الأشياء المبتدعة مذكورة عن الجنيد.

ج: ليس كل ما يذكر عن الناس صحيحاً، فلا بد من مطالعة الأسانيد، والجنيد ـ رحمه الله ـ معروف أنه يقول: علمنا مقيد بالكتاب والسنة، ومن لم يعتن بالكتاب والسنة فليس منا.

س: لكن روي عنه كرامات زائدة.

ج: ما صح عنه من الكرامات فلا يستنكر، أهل السنة يؤمنون بكرامات الأولياء إن صحت.

❁ قوله: (وعامِرَهُنَّ غيري) هو بالنصب، عطفٌ على السماواتِ، أي: لو أن السماواتِ السبعَ ومن فيهنَّ مِن العُمّارِ غيرَ الله، والأرضينَ السبعَ ومن فيهنَّ وُضِعوا في كِفَّةٍ و«لا إلهَ إلا اللهُ» في الكِفَّةِ الأُخرى مالَت بهنَّ «لا إلهَ إلا اللهُ»[1]. [١٢٠]

[شرح١٢٠] قوله: «غيري» لما كانت السماوات في العلو فناسب أن يقول: «غيري»، وهو سبحانه ليس في السماوات، فليس بداخلها لكنه في العلو، وأتى بـ«غيري» لرفع التوهمات، حتى لا يتوهم أحد أنه داخل في هذا، وهو فوق السماوات سبحانه، وفوق العرش جل وعلا، ليس داخل السماوات، ولكنه فوق السماوات، فوق العرش جل وعلا.

وقوله: «مالت» يعني: رجحت.

---

(١) ص٥٨.

۞ وروى الإمامُ أحمدُ، عن عبدِ الله بنِ عمرٍو عن النبيِّ ﷺ: أن نوحاً عليه السلام قال لابنِه عندَ موتِه: آمُرُكَ بـ«لا إلهَ إلا اللهُ» فإن السماواتِ السَّبعَ، والأرضِينَ السَّبعَ، لو وُضِعَت في كِفَّةٍ و«لا إلهَ إلا اللهُ» في كِفَّةٍ، لرجَحَت بهنَّ «لا إلهَ إلا اللهُ» ولو أن السماواتِ السَّبعَ، والأرضِينَ السَّبعَ، كُنَّ حَلقةً مُبهَمةً، قَصَمَتهُنَّ «لا إلهَ إلا اللهُ»(١).

وفيه دليلٌ على أنَّ الله تعالى فوقَ السَّماواتِ(٢). [١٢١]

[شرح١٢١] وهذا يبين عظم شأن «لا إله إلا الله» عند الرسل قديماً وحديثاً، وهي أعظم الكلام، وأفضل الكلام، وذلك في حق من اعتقد معناها وعرفه، فلا يحصل المقصود بمجرد قول: «لا إله إلا الله» لكل أحد، وذلك بإجماع أهل العلم قاطبة، ولكن هذا في حق من قالها عن عقيدة وعن بصيرة وعن العمل بمقتضاها، فإنها ترجح بجميع سيئاته، وترجح بهذه المخلوقات، وهذا بإجماع أهل العلم قاطبة. =

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ١٧٠).

(٢) ص٥٨.

.....

= وذكر السماوات والأرض من باب تمثيل الأشياء المعنوية بالأشياء المحسوسة، حتى يفهم وجه فضلها، وأنها أفضل الكلمات على الإطلاق.

ومن هذا حديث أبي هريرة في «الصحيحين» واللفظ لمسلم: «الإيمانُ بِضعٌ وسبعونَ شُعبةً وأفضلها قولُ: لا إلهَ إلا اللهُ»(١)، فهذه الكلمة هي أفضل الكلام الذي ينطق به البشر ويتكلم به الناس، وهي أصل الدين، وأساس الملة، وهي أصل الإسلام الذي بعث الله به الرسل جميعاً.

وأصل ذلك أن يعبد الله وحده، وأن لا يشرك به ﷻ، هذا أصل الإسلام الذي بعث الله به الرسل جميعاً: أن يعبد الله وحده دون كل ما سواه ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥]، ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

هذا معنى (لا إله إلا الله): أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت، =

(١) أخرجه البخاري: الإيمان (٩)، ومسلم: الإيمان (٣٥) (٥٨).

.....

= أي: وحدوا الله، وابتعدوا عن عبادة الطاغوت، معناها: لا معبود بحق إلا الله.

فهي تثبت التوحيد والعبادة لله وحده، وتنفي العبادة عن غير الله جل وعلا؛ ولهذا صارت أعظم الكلام وأفضله، وكان لها هذا الرجحان.

أما من يقولها على غير بصيرة وعلى غير علم، ومن يقولها على غير عقيدة لها، وإنما يقولها مجاملة للناس، أو رياء كالمنافقين، فلا تزن شيئاً عند الله جل وعلا، ولا تنفعه عند الله شيئاً؛ لأنه قالها عن غير عقيدة، ولا اعتقاد لمعناها، ولا عمل لمقتضاها، فلا تزن عند الله جناح بعوضة، ولا تنفعه عند الله ﷻ؛ لأنه قد كفر بمعناها، وحاد عنها، وضل عنها، نسأل الله العافية*.

---

* س: ما درجة حديث الإمام أحمد؟

ج: ما راجعت سنده، ولا أتذكر هذا، لكن سكوت المؤلف يدل على أنه جيد، فإن أحمد رواه عن سليمان بن حرب ـ رحمه الله ـ من أهل الحديث، وهو يعتني به. =

.....

= **س: لو أن أحدهم قال: لا إله إلا الله، وهو لا يصلي، هل تنفعه؟**

ج: إن قالها ولم يصل، فما أدى حقها، فيكفر بذلك عند جمع من أهل العلم، وهو المعروف عن الصحابة ـ رضي الله عنهم وأرضاهم ـ أن ترك الصلاة كفر أكبر وردة عن الإسلام.

ومن ارتدَّ عن الإسلام لم ينفعه قول: لا إله إلا الله، مثل لو جحد وجوب الصلاة، أو سب الرسول، أو سب الدين، فلا ينفعه قول: لا إله إلا الله، وهذه قاعدة: أن كل من أتى بناقض من النواقض، فلا ينفعه قول: لا إله إلا الله.

س: من قال: إن مسيلمة، أو الأسود العنسي، أو فلاناً، نبي بعد محمد، فهل تنفعه صلاته وصومه؟! وهل ينفعه قول: لا إله إلا الله؟!

ج: جاء في الحديث قوله ﷺ: «بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة»[1]، وجاءت آيات وأخبار أخرى تدل على هذا المعنى أيضاً، بسطها ابن القيم ـ رحمه الله ـ في كتاب «الصلاة وحكم تاركها»، لكن المسألة خلافية بين أهل العلم، فقال بعض أهل العلم: لا يكفر بذلك إلا كفراً دون كفر، لكن أرجح القولين في شأن تارك الصلاة أنه كفر أكبر وردة نعوذ بالله.

س: ما المقصود من قوله عن الصلوات الخمس أن من تركها فإن الله =

(١) أخرجه مسلم: الإيمان (٨٢).

.....

= **إن شاء عذبه وإن شاء غفر له؟**

ج: المعروف في الرواية أنه من لم يحافظ عليها لا من تركها بالكلية.

س: **ما معنى قول الجارية عندما سألها النبي ﷺ فقالت: في السماء**[1]؟

ج: إنه في العلو و«في» مفسرة على وجهين: **أحدهما**: بمعنى الظرفية فيكون معناه: على السماء، أي: «في» بمعنى «على».

والقول الثاني: أن المراد بالسماء هنا العلو؛ أي: جنس العلو مطلق على بابها الظرفية، فالمعنى لفظ العلو ﷻ مع أنه قال: على العرش وغيره، أو معنى في السماء يعني: على السماء يعني: فوق العرش كما في قوله ﷻ: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ﴾ يعني: على الأرض؛ فإن «في» تأتي بمعنى «على».

---

(١) أخرجه مسلم: المساجد ومواضع الصلاة (٥٣٧).

۞ قولُه: «في كِفَّةٍ» بكسر الكاف وتشديد الفاء، مِن كِفَّةِ الميزانِ، قال بعضهم: ويُطلَق لكلِّ مُستديرٍ.

قوله: «مالَت بهنَّ لا إلهَ إلا اللهُ» أي: رَجَحَت عليهنَّ، وذلك لما اشتملَت عليه من توحيدِ الله الذي هو أفضلُ الأعمالِ، وأساسُ المِلَّةِ، ورأسُ الدينِ، فمن قالها بإخلاصٍ ويقينٍ، وعمل بمقتضاها ولوازِمها، واستقامَ على ذلك، فهو من الذين لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت][1]. [١٢٢]

[شرح١٢٢] وهنا ينبغي أن ينتبه لهذا الشرط الذي حصل به هذا الخير العظيم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ فكثير من =

(١) ص٥٨.

.....

= الناس يقول ويتكلم كثيراً، ولكن لا يستقيم على ما قاله، بل يقول ولا يفعل كالمنافقين، فلا يحصل على هذا الوعد العظيم، وإنما يحصل هذا الوعد لمن قال: ربي الله، يعني: إلهي ومعبودي الله ﷻ، ثم استقام على ذلك بالعمل الصالح بأداء الفرائض، وترك المحارم والوقوف عند الحدود، هذا هو الموعود بها بالخير العظيم.

فأما من قال: ربي الله، ثم عبد غيره، أو قال: ربي الله، ثم عطل حقه، فلا يحصل له هذا الوعد، وفي الآية الأخرى آية الأحقاف ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الأحقاف]، فلا بد من العمل ولا بد من الاستقامة.

والآيات في هذا المعنى لا تحصى، فمنها قوله جل وعلا: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس:٦٢] ثم فسر من هم وبين أعمالهم فقال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس:٦٣].

فالإيمان يشمل جميع ما أمر الله به ورسوله، وترك ما نهى الله =

.....

= عنه ورسوله، والتقوى كذلك، فجمع بينهما ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ أي: آمنوا بالله ورسوله، وحفظوا هذا الإيمان بتقوى الله، بأداء فرائضه، وبترك محارمه، وبالوقوف عند حدوده.

هؤلاء هم أولياء الله، وهم أصحاب الجنة، وهم أهل الاستقامة، بخلاف أهل الانحراف، كالمنافقين الذين قالوها باللسان، ولكن حادوا عنها بالقلب والعمل، وكذلك أهل الفجور والمعاصي قالوها باللسان وأدوا بعض معناها، ولكن لم يؤدوا حقها كاملاً، بل تخلفوا عن ذلك باتباع الشهوات والأهواء.

obeikandl.com

۞ والحديثُ يدلُّ على أن «لا إلهَ إلا اللهُ» أفضلُ الذكرِ، كما في حديثِ عبدِ الله بنِ عمرٍو مرفوعاً: «خيرُ الدعاءِ دعاءُ يومِ عَرَفةَ، وخيرُ ما قلت أنا والنبيُّون مِن قَبلي: لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، له الملكُ وله الحمدُ، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ». رواه أحمد والترمذي[1].

وعنه أيضاً مرفوعاً: يُصاحُ برجلٍ مِن أُمَّتي على رؤوسِ الخلائقِ يومَ القيامةِ فيُنشَرُ له تسعةٌ وتسعونَ سِجِلًّا، كلُّ سِجِلٍّ منها مَدَّ البَصَرِ، ثم يُقال: أَتنكِرُ من هذا شيئاً؟ فيقول: لا يا ربِّ. فيقال: ألكَ عُذرٌ أو حسنةٌ؟ فيهابُ الرجلُ فيُقال: لا. فيقال: بلَى، إن لكَ عندَنا حسناتٍ، وإنه لا ظلمَ عليكَ، فتخرُجُ بطاقةٌ فيها «أشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه» فيقول: يا ربِّ، ما هذه البطاقةُ مع هذه السِّجِلاتِ؟! فيقال: إنكَ لا تُظلَم. فتُوضَع السجلاتُ في كِفَّةٍ والبطاقةُ في كِفَّةٍ، فطاشَتِ السجلاتُ وثَقُلَت البطاقةُ. =

(١) أحمد (٢/ ٢١٠)، والترمذي: الدعوات (٣٥٨٥).

= رواه الترمذيُّ وحسَّنه، والنَّسائيُّ، وابنُ حِبّان، والحاكم[١]، وقال: صحيح على شرطِ مسلمٍ، وقال الذهبيُّ في «تلخيصه»: صحيح.

قال ابنُ القيِّم: فالأعمالُ لا تتفاضلُ بصوَرِها وعَدَدِها، وإنما تتفاضل بتفاضلِ ما في القلوب، فتكون صورةُ العملِ واحدةً وبينهما من التفاضلِ كما بين السماءِ والأرضِ.

قال: تأمَّل حديثَ البطاقةِ التي تُوضَع في كِفَّةٍ ويقابلُها تسعةٌ وتسعونَ سِجِلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ منها مدَّ البصرِ، فتثقُل البطاقةُ وتطيشُ السجلاتُ، فلا يُعذَّب، ومعلوم أن كلَّ مُوَحِّدٍ له هذه البطاقةُ، وكثيرٌ منهم يدخلُ النارَ بذنوبِه.

وعن أبي هريرة مرفوعاً: «ما قالَ عبدٌ: لا إلهَ إلا اللهُ، مُخلصاً قطُّ، إلا فُتِحَت له أبوابُ السماءِ حتَّى تُفضِيَ إلى العرشِ، ما اجتُنِبَت الكبائرُ»[٢]. =

(١) أخرجه الترمذي: الإيمان (٢٦٣٩)، وابن ماجه: الزهد (٤٣٠٠)، وابن حبان في «صحيحه»: الإيمان (٢٢٥)، والحاكم في «المستدرك»: الإيمان (١/ ٦).

(٢) أخرجه الترمذي: الدعوات (٣٥٩٠)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٦٠١).

= رواه الترمذيُّ وحسَّنه، والنسائيُّ، والحاكم، وقال: على شرط مسلم[١]. [١٢٣]

[شرح١٢٣] هذا المعنى صحيح، فهذه الأمور كلها ثابتة بالنص والإجماع، ومنها ما رواه مسلم في «الصحيح» أيضاً: «الصلواتُ الخَمسُ، والجمعةُ إلى الجمعةِ، ورمضانُ إلى رمضانَ، مُكفِّراتٌ لما بَينهُنَّ إذا اجتنبَ الكبائرَ»[٢].

ومنها حديث عثمان في «الصحيح» لما توضأ فأخبره عليه الصلاة والسلام أنه إذا صلى بعد هذا الوضوء ركعتين لا يحدث فيهما نفسه، غفر الله له ما تقدم من ذنبه[٣]. وذلك إذا لم تصب المقتلة، أي: ما لم يأت كبيرة.

فالحاصل أن ما ورد من الفضائل، والوعد بالجنة والكرامة، هو مقيد بقيود منها عدم الإصرار على الكبائر، فإذا أصر على الكبائر فليس هذا الوعد محتوماً ولا مضموناً، فيكون تحت مشيئة الله. =

---

(١) ص٥٨-٥٩.

(٢) أخرجه مسلم: الطهارة (٢٣٣).

(٣) انظر ما أخرجه البخاري: الوضوء (١٥٩)، ومسلم: الطهارة (٢٢٦) و(٢٢٨).

.....

= فقد يعفى عنه لأسباب مثل أعمال صالحة، وفضل رحمة الله وإحسانه، وقد لا يعفى عنه لسوء أعماله، ولتقصيره في العمل الصالح، ولسيئاته التي مات عليها، فيعذب على حسب أعماله، قد يعذب مدة طويلة، وقد يعذب مدة قليلة، وقد يكون عذابه إلى كعبه أو إلى ركبته أو إلى حقوه، كما جاء في الحديث[1].

فالمقصود أن أهل الكبائر معرضون للوعيد عند أهل السنة والجماعة ولو قالوا: «لا إله إلا الله» صباحاً ومساءً، حتى تكون هذه الكلمة محققة لمحو سيئاتهم، بالعناية بها والإقبال عليها، وتحقيق معناها بترك الإصرار على المنكر.

وأما من قالها مع الغفلة والإعراض ومتابعة الشهوات، ما حقق معناها، ولم يؤدها كما ينبغي، ولم يؤد حقوقها، فلا تكون هذه الكلمة طارحة للسيئات، ولا تكون هذه الكلمة موجبة لدخول الجنة من أول وهلة، فقد يعذب.

هذا مجمع عليه، والنصوص دلت على ذلك، والنص القرآني =

(١) أخرجه مسلم: الإيمان (١٨٣).

.....

= فيه الدلالة على أن أنواعاً من الشرك تحت المشيئة، وقد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ بأن كثيراً من العصاة يدخلون النار ويحترقون فيها، وأنهم يخرجون منها بعد ذلك كالحمم ضبائر ضبائر وكعيدان السماسم[١]، ويلقون في نهر الحياة فينبتون كما تنبت الحِبَّة في حَمِيل السيل[٢]، هذا كله واضح في دخولهم النار ثم إخراجهم منها[٣].

وحديث البطاقة[٤] من هذا الباب؛ فإنَّ صاحب البطاقة لم يعذَّب لأنه أتى بهذه الشهادة على وجه أدى فيه حقوقها، فصارت =

(١) السماسم: جمع سمْسم، وعيدانه تراها إذا قلعت وتركت ليؤْخذ حبها دقاقاً سوداً كأنها محْترقة، فشبه بها هؤلاء الذين يخرجون من النار وقد امتحشوا. النهاية في غريب الحديث، مادة (سمسم).

(٢) حميل السيل: هو ما يجيء به السيل من طين أو غثاء وغيره، فعيل بمعنى مفعول، فإذا اتفقت فيه حبة واستقرت على شط مجرى السيل فإنها تنبت في يوم وليلة، فشبه بها سرعة عَوْد أبدانهم وأجسامهم إليهم بعد إحراق النار لها. النهاية في غريب الحديث، مادة (حمل).

(٣) انظر ما أخرجه مسلم: الإيمان (١٨٣ - ١٨٥) و(١٩١)(٣٢٠).

(٤) أخرجه الترمذي: الإيمان (٢٦٣٩)، وابن ماجه: الزهد (٤٣٠٠).

.....

= هذه الشهادة محرقة لسيئاته، متضمنة لتوبته منها وإقلاعه عنها، بصدقه في هذه الكلمة وعنايته بها، حتى صارت هذه الكلمة راجحة لسيئاته الكثيرة؛ لأنه أداها في آخر حياته، وعند موته عن صدق وعن إخلاص وعن ندم وعن إقلاع وعن توبة من سيئاته التي بلغت تسعة وتسعين سجلاً.

والنصوص تفسر بعضها بعضاً، ويوضح بعضها بعضاً، ويؤيد بعضها بعضاً، ومن أخطأ هذا الطريق وترك هذا السبيل الذي سلكه أهل العلم؛ لم يستقم له فهم النصوص، ولم يعرف مراد الله مما أمر الله به عباده ﷻ، وقد يفضي به ذلك إلى سوء الظن بالله، وإلى الحكم بتناقض الأدلة فيهلك بهذا، نسأل الله العافية.

obeikandl.com

۞ قوله: «رواهُ ابنُ حِبّان والحاكمُ»، (ابنُ حِبّان) اسمه محمد ابن حبِّان، بكسرِ المهملةِ وتشديد الموحَّدَةِ، ابن أحمدَ بن حبان، أبو حاتم التَّمِيميُّ البُستِيُّ الحافظ، صاحب التصانيف كـ«الصحيح» و«التاريخ» و«الضعفاء» و«الثقات» وغير ذلك، قال الحاكم: كان مِن أَوعيةِ العلمِ في الفقهِ واللغةِ والحديثِ والوعظِ، ومن عقلاءِ الرجالِ، مات سنة أربع وخمسين وثلاثِ مئَة بمدينةِ بُسْتٍ، بالمهملة[1]. [١٢٤]

[شرح١٢٤] «بست» مدينة بخراسان، وهو شيخ الحاكم*.

---

* س: هل كان لابن حبان منهج متميز في الجرح والتعديل؟

ج: لا شك في ذلك، ولكنه تساهل في الجرح والتعديل.

س: حتى في شيوخه؟

ج: هذا الحكم عامٌّ في شيوخه وغيرهم.

س: ذكر عبد الرحمن اليماني صاحب «التنكيل» أن في شيوخه من لا يقبل منه.

ج: هذا يحتاج إلى تتبع أيضاً، قوله هذا مطلق على كل حال، ولكن =

---

(١) ص٥٩.

.....

= يحتاج إلى تتبع، فمن تتبع كتبه تتضح له حقيقته.

س: توثيق ابن حبان لا يؤخذ به؟

ج: يستأنس به، ولكن لا يعتمد عليه في المفردات، فإذا انفرد في شيء لا يعتمد عليه؛ لأنه عرف بالتساهل رحمه الله، ولا سيما إذا كان من وثقه يخالف بالمعروف فيكون الأمر أشد.

obeikandl.com

۞ وأما (الحاكمُ) فاسمُه محمدُ بنُ عبدِ الله بن محمد الضَّبِّيُّ النَّيسابوريُّ، أبو عبد الله الحافظُ، ويعرف بابن البَيِّعِ، وُلِدَ سنة إحدى وعشرين وثلاث مئة، وصنَّفَ التصانيفَ كـ«المستدرك» و«تاريخ نيسابور» وغيرهما، ومات سنة خمس وأربع مئة[1]. [١٢٥]

[شرح١٢٥] رحمة الله عليه، كذلك الحاكم أيضاً معروف بالتساهل مثل ابن حبان شيخه، وابن خزيمة كذلك، ولكنه أحسن منهما جميعاً.

---

(١) ص٥٩.

۞ قال: وللترمذيِّ وحسَّنه عن أنسٍ: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «قال اللهُ تعالى: يا ابنَ آدمَ، لو أَتيتَني بقُرَابِ الأرضِ خَطَايا، ثم لَقِيتَني لا تُشرِكُ بي شيئاً، لأَتيتُكَ بِقُرَابها مغفرةً»[1]. [2]*

---

* س: القسم الأخير أو القسم الثالث الذي ذكرت أنه يؤدي إلى الكفر والضلال الذي هو التقليد وما بينته أثابكم الله؟

ج: هو تقليد الكفرة فيما هم عليه، وهذا بالنظر لما جاء به الإسلام، فيقلد الكفرة في أعمالهم المبطلة وأعمالهم الباطلة، ولا يبالي، ولا ينظر في الدليل، ويقول: يكفي ما هم عليه من عبادة البدوي، أو عبادة فلان أو فلان أو فلان، فهم أعلم منا وأحسن منا، مثلما فعل اليهود والنصارى مع رؤسائهم، فأكثرهم لا يعقل ولا يعلم، وإنما تابعوا الرؤساء.

نعم، النبي ﷺ لما قاتل الروم وقاتلهم الصحابة لم يقل لكل واحد قابله: هل قام عليك الدليل؟ بل رؤساؤهم لما عاندوا تابعهم جماعتهم، وهكذا فارس؛ قاتلهم المسلمون لما أبى رؤساؤهم الدخول في الدين الحق، فالعامة تتبع رؤساءها.

---

(١) أخرجه الترمذي: الدعوات (٣٥٤٠).

(٢) ص٥٩.

۞ التِّرمِذيُّ: اسمُه محمدُ بنُ عيسى بن سَوْرة ـ بفتح المهملة ـ بن موسى بن الضَّحّاك السُّلَميُّ، أبو عيسى، صاحب «الجامع» وأحدُ الأئمةِ الحفاظِ، كان ضريرَ البصر، رَوَى عن قُتَيبةَ وهَنّادٍ والبخاريِّ وخَلقٍ، ومات سنة تسع وسبعين ومئتين.

وأنسٌ: هو ابنُ مالكِ بنِ النَّضرِ الأنصاريُّ الخَزْرجيُّ، خادمُ رسولِ الله ﷺ، خدمَه عشرَ سنينَ، ودعا له النبيُّ ﷺ فقال: «اللهمَّ أكثِرْ مالَه وولدَه وأدخِلْه الجنةَ»[1]. ومات سنة اثنتين ـ وقيل: ثلاث ـ وتسعين، وقد جاوَزَ المئةَ.

والحديثُ قِطعةٌ من حديثٍ رواه الترمذيُّ من طريقِ كثيرِ بنِ فائدٍ، قال: حدَّثنا سعيدُ بنُ عُبَيدٍ، سمعتُ بكرَ بنَ عبدِ الله المُزَنيَّ، يقول: حدَّثنا أنسُ بنُ مالكٍ، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ، يقول: «قال اللهُ تعالى: يا ابنَ آدمَ، إنكَ ما دَعَوتَني ورجَوتَني غفرتُ لكَ على ما كانَ منكَ ولا =

(١) أخرجه عبد بن حميد في «مسنده» (١٢٥٥).

= أُبالي، يا ابنَ آدمَ، لو بَلَغَت ذُنوبُكَ عَنانَ السماءِ، ثم استَغفَرتَني غَفَرتُ لكَ، يا ابنَ آدمَ، لو أتيتَني بقُرابِ الأرضِ...» الحديث[١].

قال ابن رجب: وإسناده لا بأس به. وسعيدُ بنُ عُبيدٍ هو الهُنائيُّ، ذكرَه ابنُ حِبّان في «الثقات» وقال الدّارَقُطنيُّ: تفرَّد به كثيرُ بن فائدٍ عن سعيدِ بن عُبيدٍ مرفوعاً.

قال ابنُ رجبٍ: وتابعَه على رَفعِه أبو سعيدٍ مولى بني هاشمٍ، فرواه عن سعيدِ بن عُبيدٍ مرفوعاً، وقد رواه الإمامُ أحمدُ من حديثِ أبي ذَرٍّ بالمعنى[٢]، وأخرجه الطبرانيُّ من حديثِ ابنِ عباسٍ، عن النبي ﷺ[٣]، وروَى مسلم من حديث أبي ذَرٍّ عن النبي ﷺ، قال: «يقولُ اللهُ: مَن تقرَّبَ مِنِّي شِبراً تقرَّبتُ منه ذراعاً...» الحديث[٤]. =

(١) أخرجه الترمذي: الدعوات (٣٥٤٠).

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ١٧٢).

(٣) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٢٣٤٦)، وفي «الأوسط» (٥٤٨٣).

(٤) أخرجه مسلم: الذكر والدعاء (٢٦٨٧).

= وفيه: «ومَن لَقِيَني بقُرابِ الأرضِ خَطيئةً لا يُشرِكُ بي شيئاً، لقِيتُه بقُرابِها مغفرةً».

قولُه: «لو أَتيتَني بقُرابِ الأرضِ» قُرابِ الأرضِ: بضم القافِ، وقيل: بكسرِها، والضمُّ أشهرُ، وهو مِلؤُها أو ما يقاربُ مِلْئَها.

قولُه: «ثم لَقِيتَني لا تُشرِكُ بي شيئاً» شرطٌ ثقيلٌ في الوعدِ بحصول المغفرةِ، وهو السلامةُ من الشِّركِ كثيرِه وقليلِه، صغيرِه وكبيرِه، ولا يسلَمُ من ذلك إلا من سَلَّمه اللهُ، وذلك هو القلبُ السليمُ، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء].

قال ابنُ رَجَبٍ: مَن جاء مع التوحيدِ بقُرابِ الأرضِ خطايا، لقيَه اللهُ بقُرابِها مغفرةً، لكن هذا مع مشيئةِ الله ﷻ، فإن شاءَ غفرَ له، وإن شاءَ أخذَه بذنوبِه، ثم كان عاقبته أن لا يُخلَّدَ في النارِ، بل يخرجُ منها، ثم يدخلُ الجنةَ.

فإن كَمَلَ توحيدُ العبدِ وإخلاصُه لله تعالى فيه، وقام =

= بشروطِه بقَلبِه ولسانِه وجوارحِه، أو بقلبِه ولسانِه عندَ الموتِ، أوجبَ ذلك مغفرةَ ما سلَف من الذنوبِ كلِّها، ومَنعَه من دخولِ النارِ بالكليَّة.

فمن تحقَّق بكلمةِ التوحيدِ قلبُه أَخرجت منه كلَّ ما سوى الله محبةً، وتعظيماً، وإجلالاً، ومَهابةً، وخَشْيةً، وتَوكُّلاً، وحينئذٍ تُحرَقُ ذنوبُه وخطاياه كلُّها، ولو كانت مثلَ زَبَدِ البحرِ، وربما قَلَبتها حَسَناتٍ[1]. [١٢٦]

[شرح١٢٦] (وربما قلبتها حسنات) يعني: عند كمال التوحيد، وكمال اليقين، وكمال الإخلاص، تكون في ضمنها التوبة الصادقة، فالتوبة الصادقة يبدل الله بها السيئات حسنات، مثل ما قال ﷻ وقد ذكر الشرك والقتل والزنى، قال: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان:٧٠].

فمن أتى بالتوحيد الخالص عن يقين، وعن إيمان، وعن إقلاع =

---

(١) ص٦٠-٦١.

.....

= عن الذنوب، وترك لها، وحذر منها، وعن إيمان بوجوب الحذر منها، وعدم الإصرار عليها، صار ذلك كفارة لها، ومع ذلك يكون مكان كل سيئة حسنة.

فإذا تابع هذا الندم، وهذا الإقلاع، وهذا اليقين، وهذا الصدق، تابعه بالإيمان بما ينبغي والعمل الصالح، فإن الله جل وعلا يجعل مكان سيئاته حسنات؛ لأن هذه التوبة توبة صادقة وتوبة عظيمة، أتبعها صاحبها بإيمانه الصادق بما يجب الإيمان به، وبعمله الصالح الذي هو أداؤه الفرائض، وتركه المحارم، فصارت هذه التوبة تكفر السيئات، وفوق ذلك يكون مكان السيئات حسنات.

obeikandl.com

۞ فإن هذا التوحيدَ هو الإكسيرُ الأعظم[1]، فلو وُضِعَ منه ذرَّةٌ على جبالِ الذنوبِ والخطايا لقَلَبها حسناتٍ.

وقال شيخُ الإسلامِ: الشركُ نوعانِ: أكبرُ، وأصغرُ، فمَن خَلَصَ منهما وَجَبَت له الجنةُ، ومَن مات على الأكبرِ وَجَبَت له النارُ، ومَن خَلَصَ من الأكبرِ، وحصلَ له بعضُ الأصغرِ مع حسناتٍ راجحةٍ على ذنوبه، دخلَ الجنةَ.

فإن تلك الحسناتِ توحيدٌ كثيرٌ مع يسيرٍ من الشركِ الأصغرِ، ومن خَلَصَ من الأكبرِ، ولكن كَثُر الأصغرُ حتى رجحَت به سيئاتُه دخلَ النارَ، فالشركُ يُؤاخذُ به العبدُ إذا كان أكبرَ أو كان كثيراً أصغرَ، والأصغرُ القليلُ في جانبِ الإخلاصِ الكثيرِ لا يُؤاخذُ به.

وفي هذه الأحاديث:

١- كثرةُ ثوابِ التوحيدِ.

٢- وسَعَةُ كرمِ الله، وجودُه، ورحمتُه؛ حيثُ وَعَدَ عبادَه =

(١) قال الشيخ: يعني: الدواء الأعظم، أو العلاج الأعظم.

= أن العبدَ لو أَتاه بِمِلءِ الأرضِ خطايا، وقد مات على التوحيد فإنه يقابلُه بالمغفرةِ الواسعةِ التي تَسَعُ ذنوبَه[1]. [١٢٧]

[شرح١٢٧] هذا مثل ما تقدم في حديثِ صاحب البطاقة، وصاحب التسع وتسعين سجلًّا[2]، وقد كان كل سجل مدّ البصر، ومع هذا فإن البطاقة الصغيرة التي فيها الشهادتان رجحت وطاشت السجلات، لما تقدم من يقينه وإخلاصه، فقد شهد هذه الشهادة عند موته، وعند خروج روحه، حتى كانت هذه الشهادة ماحية لهذه السيئات؛ لأنها صدرت عن إيمان، وعن إخلاص، وعن صدق، وعن ندم وإقلاع عن الذنوب، وعدم إصراره عليها، فصارت راجحة لجميع سيئاته.

والدليل على هذا أن الله جل وعلا أخبر أن العصاة موعودون بالنار، وأنهم على خطر من دخول النار، وأنهم تحت مشيئة الله ﷻ، وكلام الله لا يتناقض، وكلام رسول الله لايتناقض عليه الصلاة =

---

(١) ص٦١.

(٢) أخرجه الترمذي: الإيمان (٢٦٣٩)، وابن ماجه: الزهد (٤٣٠٠).

.....

= والسلام، فوجب أن يكون هذا له معنى، وهذا له معنى.

فالتوحيد الذي يرجح على السيئات، ويوجب دخول الجنة من أول وهلة، ويحرم صاحبه على النار، إنما يكون كذلك إذا كان توحيداً ماحياً للسيئات، قاضياً عليها، محرقاً لها، لما اشتمل عليه من الصدق والإخلاص والإيمان والندم والإقلاع، حتى صار هذا التوحيد هو مجتمع التوبة الصادقة الماحية للسيئات القاضية عليها فيدخل الجنة من أول وهلة.

بخلاف التوحيد الناقص الذي معه شيء من الشرك الأصغر، أو شيء من الكبائر، فإنه يكون توحيداً ضعيفاً قد أهزلته الذنوب والسيئات، وقد أضعفته الخطايا، فيكون صاحبه تحت مشيئة الله، إن شاء أدخله الجنة بتوحيده وإخلاصه وغفر نقصه، وإن شاء ﷻ عذبه على قدر جرائمه من قتل، أو زنى، أو سرقة، أو عقوق، أو ربا، أو ما أشبه ذلك من المعاصي التي أوجبت له دخول النار.

ثم بعد دخوله النار وبعد تطهيره فيها على قدر أعماله السيئة، يكون مصيره إلى الجنة، فلا يخلد في النار موحد، والذي يخلد في =

.....

= النار الكفار الذين ليس عندهم توحيد، بل ماتوا على الكفر بالله والشرك به، فهؤلاء المخلدون في النار، لا يخلد فيها موحد أبداً.

والموحدون المسلمون لهم حالتان:

الحالة الأولى: أن يموت على استقامة، وتوبة صادقة، وتوحيد كامل، فهذا له الجنة من أول وهلة.

الحالة الثانية: مات على التوحيد ولكن له ذنوب وسيئات من معاص ما تاب منها، فهذا تحت مشيئة الله عند أهل السنة والجماعة على ظاهر الآية الكريمة ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٤٠].

فهذا إن شاء ربك عفا عنه برحمته سبحانه وجوده، وبسبب أعماله الصالحة وتقواه لله في أشياء كثيرة، وإن شاء عاقبه على قدر هذه السيئات، ثم بعدما يطهر منها ويمحص يخرج من النار، كما جاء في الأخبار المتواترة إلى نهر الحياة[1] كما قال في الحديث الصحيح: «سيخرجون منها ضبائر»[2]، وفي لفظ: «كأنهم عِيدان =

(١) أخرجه مسلم: الإيمان (١٨٣) و(١٨٤).

(٢) أخرجه مسلم: الإيمان (١٨٥).

.....

= السماسم فيدخلون نهراً من أنهار الجنة»[1] يعني: قد احترقوا كالفحم، نسأل الله السلامة.

فالحاصل أنه لا بد من دخول بعض العصاة في النار، ولا يلزم من ذلك أنهم سيدخلون كلهم، فقد جاءت النصوص دالة على أن بعضهم قد يعفى عنه، فقد يرحم، وقد يسلم من النار بعفو الله سبحانه ورحمته جل وعلا لأسباب مات عليها، من توحيد، وإخلاص، وأعمال صالحة، أو شفاعة الشفعاء، كالرسول ﷺ وغيره من الشفعاء.

وقد لا تؤثر فيه هذه الأشياء، فتكون ذنوبه عظيمة، ومعاصيه كبيرة، فلا يطهره إلا التعذيب في النار، وبعدما يطهر فيها ويذهب عنه هذا الخبث، ثم يخرج منها إلى الجنة*.

* س: هل من خلص من الأكبر، وحصل له بعض الأصغر مع حسناته الراجحة على ذنوبه دخل الجنة؟

ج: نعم، إذا أصاب ذنوباً كأنْ يحلفَ بغير الله وما أشبه ذلك. =

(١) أخرجه مسلم: الإيمان (١٩١).

.....

= س: هل يدخل الجنة ابتداء؟

ج: نعم، يدخل الجنة ابتداء؛ لأن حسناته صارت أكبر وأعظم، فرجح ميزان حسناته.

س: ما الحجة على هذا؟

ج: الآيات، قال تعالى: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المؤمنون:١٠٢]، لأن الشرك الأصغر إذا غمر بالأعمال الصالحات والإكثار بالخيرات صار مغلوباً، فيغلب ميزان الحسنات.

obeikandl.com

۞ ٣- والرد على الخوارج الذين يكفِّرون المسلمَ بالذنوبِ، وعلى المعتزلةِ الذين يقولون بالمنزِلَةِ بين المنزِلَتينِ، وهي منزلةُ الفاسقِ، فيقولون: ليسَ بمؤمنٍ ولا كافرٍ، ويخلدُ في النار.

والصوابُ في ذلك قولُ أهلِ السُّنَّة: إنه لا يُسلَب عنه اسمُ الإيمانِ على الإطلاقِ، ولا يُعطاه على الإطلاقِ، بل يُقال: هو مؤمنٌ ناقصُ الإيمانِ، أو مؤمنٌ عاصٍ، أو مؤمنٌ بإيمانِه، فاسقٌ بكبيرتِه، وعلى هذا يدلُّ الكتابُ والسنةُ وإجماعُ سلفِ الأُمةِ[1]. [١٢٨]

[شرح١٢٨] وهذا هو الحق، والخوارج: طائفة خرجوا على أهل السنة والصحابة في زمن علي ﷺ، وأخبر عنهم ﷺ بأنهم يخرجون من الإسلام ثم لا يعودون إليه[2]، وحملهم على هذا اجتهادهم على غير أسس، فاجتهدوا وقدموا وغلبوا جانب الوعيد على جانب الرجاء، وقالوا: من عصى كفر. =

---

(١) ص٦١.

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٣١).

.....

= وقالوا في الصحابة لما حصل ما حصل من الاختلاف بين أهل الشام وأهل العراق: إن هذه المعاصي وهذا القتال يوجب كفرهم، فكفروا الطائفتين، وكفروا علياً معهم أيضاً، ولم يزالوا بهذا الرأي.

ولما حَكَّم عليٌّ الرجلين في النظر في أمور المسلمين قالوا: كيف تحكمون الرجال في دين الله؟ وجهلوا هذه الأمور حتى حصل بهم ما حصل، ولم يزل بهم علي يدعوهم إلى الله جل وعلا، وأرسل إليهم ابن عباس يناظرهم حتى هدى الله به منهم جمعاً غفيراً.

فالحاصل أنهم غلب عليهم الشدة وجانب الوعيد والرهبة من أمر العاصي، حتى صاروا يكفرون المسلمين، ويضللونهم بالمعاصي، ويجعلونهم خالدين في النار بسبب المعاصي.

وأما المعتزلة فقد قاربوهم، وقالوا بمثل ما قالوا في الجملة: إنه مخلد في النار، لكن لم يجترئوا على التكفير، وقالوا بالمنزلة بين المنزلتين، فقالوا: يسمى فاسقاً، ولا يسمى مسلماً، ولا يسمى كافراً، فلا نعمل هذه ولا هذه، لا آيات الإيمان ولا آيات الكفر، ولكن نجعله في منزلة بين المنزلتين. =

.....

= وهذا لا أصل له ولا أساس، فهو إما مسلم وإما كافر، والمسلم قسمان: مسلم مستقيم كامل الإسلام، ومسلم ناقص الإسلام ناقص الإيمان وهو الفاسق.

فالحاصل أنهم ضلوا في هذا الباب وغلطوا، أما أهل السنة والجماعة فوفقهم الله فقالوا: إذا كان له معاص وسيئات لا يتوب منها فهو ناقص الإيمان وضعيف الإيمان، لكن لا يكفر ولا يكون مخلداً في النار لو مات على هذه الحال، بل يكون تحت مشيئة الله ﷻ كما جاء في النصوص الدالة على أن العاصي تحت مشيئة الله جل وعلا*.

---

* س: ما ضابط الفسوق؟

ج: الفسوق هو المعصية، وقد يكبر، فالفسوق فسوقان، والظلم ظلمان، والكفر كفران، فقد يكون أكبر وقد يكون أصغر، فقد يكون شرك أكبر إذا كان عن كفر بالله، وأصغر إذا كان عن المعاصي، وهكذا الظلم.

س: أكل معصية كذلك؟

ج: إذا خرج عن الطاعة ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة:١٩٧] لكن الفسوق فسوقان أكبر وأصغر، فالكافر فاسق لكن فسق أكبر، والزاني فاسق لكن فسق أصغر. =

.....

= وهكذا يقال فيمن جحد الصلاة وجحد الآخرة: كافر، فاسق، ويقال فيمن مثلاً قصر في بعض الواجبات: فاسق، ولايسمى كافراً، وكذلك السارق والزاني والمرابي والعاق إلى آخره.

س: أيكون الذي يعصي الله على علم مثل الذي يعصي الله على جهل؟

ج: الذي يعصي الله على علم يكون عمله أكبر وأشنع مثل عمل اليهود، ومن يعصي الله على جهل ففيه تفصيل، فقد تقوم الحجة عليه، وقد يكون متساهلاً لا يسأل فيؤاخذ، وقد يكون يحب الحق ويريده وليس عنده بينة أو ما تيسر له من يسأله ويدله، فيعفى عنه.

س: هل الشيعة كفار؟

ج: الشيعة أقسام، منهم الكافر، ومنهم الفاسق، ومنهم غير ذلك، فالشيعة أقسام كثيرة قال بعضهم: اثنتان وعشرون فرقة، فالذين يعبدون أهل البيت، ويشتغلون بهم، وينذرون لهم، هؤلاء كفرة، والذين يقولون: إنهم يعلمون الغيب كذلك.

وأما الذين يقولون: إن علياً أفضل من أبي بكر الصديق ومن عمر فقط، وليس عندهم تكفير ولا غلو في أهل البيت، بل مجرد تفضيل، فلا يكونون كفاراً.

س: والذين يسبون أبا بكر وعمر؟

ج: السب فسق. =

.....

= **س: منهم من يقول: إن الرسالة كانت نازلة على عليّ فأخطأ جبريل وأنزلها على محمد؟**

ج: هؤلاء المخوِّنة؛ خونوا جبرائيل، وهم من أكفر الناس عند أهل السنة والجماعة.

س: والذين لا يُصلُّون جماعة بل فرادى ويقولون: لا بد من إمام معصوم؟

ج: هذه معاصٍ، وهؤلاء من الشيعة الغُلاة، وهذا فسق.

س: والذين يقولون بأن القرآن ناقص؟

ج: هذا كفر أكبر، فالقرآن محفوظ، وقد كذبهم الله وقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر:٩]، وقولهم هذا تكذيب لقوله: ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.

س: ما درجة حديث: «اللهم أكثر ماله وولده وأدخله الجنة»؟

ج: لا أذكر حاله الآن، ولكن أعرف أنه ثابت من دعاء النبي ﷺ لأنس قوله: «اللهمَّ أكثِر ماله وولده»، ثابت في «الصحيحين»[(١)]، ولكن هذه الزيادة: «وأدخله الجنة» لا أذكر من رواها[(٢)].

---

(١) البخاري: الدعوات (٦٣٣٤)، ومسلم: المساجد ومواضع الصلاة (٦٦٠).

(٢) هي عند عبد بن حميد في «مسنده ـ المنتخب» (١٢٥٥).

۞ وقال المصنِّفُ: تأمَّل الخمسَ اللواتي في حديثِ عُبادةَ[١]؛ فإنك إذا جمعتَ بينه وبين حديثِ عِتبانَ[٢] تبيَّن لكَ معنى قولِ «لا إلهَ إلا اللهُ» وتبيَّن لك خطأُ المغرورِينَ[٣]. [١٢٩]

۞ وفيه أنَّ الأنبياءَ يَحتاجُون للتنبيهِ على معنى قولِ: «لا إلهَ إلا اللهُ»[٤]. [١٣٠]

[شرح١٢٩] جاء في حديث عبادة وعدٌ على التوحيد بالجنة[٥]، وفي حديث عتبان أن الله حرم على النار من قالها يبتغي بها وجه الله[٦]، فلا بد من الإيمان والإخلاص وقصد وجه الله ﷻ، فلو قالها بمجرد اللسان من غير إيمان وبلا قصد كالمنافقين، لا ينفعه.

[شرح١٣٠] كما وقع لموسى فإن موسى ظن أن هناك شيئاً يمكن =

---

(١) أخرجه البخاري: أحاديث الأنبياء (٣٤٣٥)، ومسلم: الإيمان (٢٨).

(٢) أخرجه البخاري: الصلاة (٤٢٥)، ومسلم: المساجد ومواضع الصلاة (٣٣).

(٣) ص٦١.

(٤) ص٦١.

(٥) سلف في الفقرة [٧٦]، ص٢٣٧.

(٦) سلف في أول الفقرة [١١٣]، ص٣٣٩.

.....

= تخصيصه به زيادة على قول لا إله إلا الله[1]، فبيَّن الله له أن «لا إله إلا الله» هي الرأس والأساس، وليس شيء فوقها مع الإيمان والتصديق، والقول والنطق بها عن يقين وعن إخلاص هو أفضل الكلام، ومن قال بها بصدق وإخلاص فهو في منزلة عالية.

(١) أخرجه ابن حبان في «صحيحه»: التاريخ (٦٢١٨)، والحاكم في «المستدرك»: الدعاء (١/ ٥٢٨). وانظر الحديث ص٣٥٥.

obeikandl.com

۞ وفيه التنبيهُ لرُجْحانِها بجميع المخلوقاتِ، مع أن كثيراً ممن يقولُـها يَخِفُّ ميزانُه[1]. [١٣١]

[شرح١٣١] لأنهم ما أَتوا بها على إخلاص، فقد يقولونها ويدخلون النار كالمنافقين، فهناك فرق بين القلوب؛ فقد يكون الشخصان يقولان كلاماً ويعملان أعمالاً، وبينهما مثل بين السماء والأرض وأعظم من ذلك، فبالإيمان والإخلاص والصدق يختلف أهل الجنة عن أهل النار بسبب تفاوت الأعمال، وتفاوت ما في القلوب من الصدق والإخلاص والإذعان.

---

(١) ص٦١.

obeikandl.com

۞ وفيه أنكَ إذا عرفتَ حديثَ أنسٍ[١] عرفتَ أن قولَه في حديثِ عِتبانَ: «إنَّ اللهَ حرَّم على النارِ مَن قال: لا إلهَ إلا اللهُ، يبتغي بذلك وجهَ الله»[٢]، أنه تَركُ الشِّركِ، ليس قولَها باللسانِ. انتهى ملخصاً[٣]. [١٣٢]

[شرح١٣٢] يبتغي وجه الله، المراد به ترك الشرك، وفي حديث أنس: «لا تشرك بي شيئاً»، وحديث أبي ذر: «لا يُشرِك بي شيئاً»[٤]، ومعنى يبتغي بها وجه الله أن يكون عن إخلاص وصدق لا شرك معه، فهذا هو الذي حَرُمَ على النار، فالمراد ترك الشرك، وليس المراد قولها باللسان*.

---

* س: ما حكم من قال: أنا كافر، أو أنا يهودي، وما أشبه ذلك؟

ج: هذا كفر وردة عن الإسلام، أن يقول: أنا كافر أو يهودي، هكذا مطلقاً، يحكم بكفره، وكذلك إذا قال: كلام الإنجليز أو طرائقهم أحسن =

---

(١) أخرجه الترمذي: الدعوات (٣٥٤٠).

(٢) أخرجه البخاري: الصلاة (٤٢٥)، ومسلم: المساجد ومواضع الصلاة (٦٥٧) (٣٣).

(٣) ص٦١.

(٤) أخرجه مسلم: الذكر والدعاء (٢٦٨٧).

.....

= من الإسلام، أو أحسن من القرآن.

س: ولو قال: إنما كنت أمزح؟

ج: وإن، فالمزاح بالكفر كفر ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة:٦٥- ٦٦].

س: وإذا قال: لم أقله من قلبي؟

ج: ولو، فلو تكلم بالكفر فهو كافر، فيستتاب فإن تاب وإلا قتل، يبلغ عنه ولاة الأمور فيستتيبوه فإن تاب ورجع إلى الله وآمن وكذب نفسه فهذا يسلم، وإن لم يتب يقتل ويموت كافراً مرتداً.

س: لو أن أحداً ثبت عنه أنه يسب اللهَ أو يسب من خلق هذه، يعني: يسب الله، ما حكمه؟

ج: هذا يقتل بلا استتابة.

س: من يقتله؟

ج: ولي الأمر؛ يرفع عليه دعوى بشهادة الشهود في المحكمة، والمحكمة تقتله، أو ترفعه إلى ولي الأمر فيقتله، يعني: بشهادة الشهود، وهذا شرعي، يحضر إلى ولي الأمر ويحضر من سمعه كمدع، ويحضر الشهود الذين سمعوه، والمحكمة تقتله.

والصحيح أنه لا يستتاب، وإن كان بعض أهل العلم قال: إنه يستتاب، ولكن الصحيح أنه لا يستتاب؛ لأن هذا أردع للناس عن هذا =

.....

= الشر العظيم والفساد الكبير، ولأن النبي ﷺ لما بلغه أن رجلاً قتل جاريته لأنها سبت النبي ﷺ قال: «أشهد أن دمها هدر»[1].

س: هل هذه الاستتابة تدرأُ عنه الحد؟

ج: نعم تدرأ عنه حد القتل، لكن لا مانع من تعزيره بالسجن حتى لا يعود إلى مثل هذه المعصية.

س: هل الراجح في ساب النبي ﷺ استتابته أم قتله؟

ج: بل قتله، الصواب أنه لا يستتاب؛ لا سابُّ النبي ﷺ، ولا سابُّ الله سبحانه وتعالى، فكلاهما لا يستتاب.

س: لقد قلتَ: يستتاب الذي سب الله ﷻ؟

ج: كلا، بل الذي يستتاب هو المستهزئ، أما من سب الله أو سب الرسول، فالصحيح أنهما لا يستتابان.

س: ويقتل؟

ج: نعم، يقتل.

س: وساب الدين؟

ج: كلا، سابُّ الدين يستتاب.

س: ماذا لو أنه متعود على سب الدين، ولما راجعته قال: أنا =

(١) أخرجه أبو داود: الحدود (٤٣٦١)، والنسائي: تحريم الدم (٤٠٧٠).

.....

= غير متعمد؟

ج: ولو، فهذه لا مزاح فيها ولا استهزاء، وأمره إلى الله؛ إن تاب توبة صادقة قبلها الله جل وعلا، لكن المقصود الحكم؛ لأن العفو عند الحكم قد يجرئ الآخرين، فيجرؤ الناس على الزندقة ولا يبالون، أما إذا عرف أن هناك رادعاً بقتل كان هذا أزجر للناس عن الاعتداء على هذه المحارم.

وأما إن كان صادقاً بينه وبين الله فالله يقبله جل وعلا ولو قتل، فإذا كان صادقاً في توبته، نادماً على فعل ما ارتكب، فالله يتوب على التائبين بإجماع المسلمين، وإنما هذا في الحكم فقط.

س: هل نستتيبه نحن قبل أن يرفع إلى الوالي أو القاضي؟

ج: إذا ستر عليه ونهض له بالنصح والخير فأظهر الندم والتوبة إلى الله فلا مانع، فمن ستره ستره الله في الدنيا والآخرة، فإذا أظهر التوبة والندم والإقلاع وقال بصدق ولم يعد، فممكن، أما إذا علم أنه يعود فينبغي ألا يكون هذا معه.